www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

** معرفتي **

سلسلة
شعراء قتلتهم الكلمات

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

أبو الطيب المتنبي

جمال حامد

Ghorab Publishing

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

سلسلة

شعراء قتلتهم الكلمات

** معرفتي **

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

١

أبو الطيب المتنبي

جمال حامد

Ghorab Publishing

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر اعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ادارة الشئون الفنية

حامد ، جمال .
أبو الطيب المتنبي/ جمال حامد - ط ١ . - القاهرة: غراب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ .
١٨٤ ص ؛ ٢٤ × ١٧,٥ سم - (سلسلة شعراء قتلتهم الكلمات؛ ٣)
١ - الشعراء العرب .
٢ - المتنبي، أحمد بن الحسين بن الحسن ، ٩١٥ - ٩٦٥ .
أ - العنوان.
٩٢٨,١

الكتـــــاب : أبو الطيب المتنبي

المـــؤلـــف : جمال حامد

رقـم الإيـداع : ٤٨٢٢ / ٢٠٠٨

تاريخ النشـر : ٢٠٠٨

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأى شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى

الناشـــر : دار غـــراب للطبـــاعـــة والنشـــر

دار غـراب

٢٨ ش حسن إبراهيم حسن - مدينة نصر - القاهرة

تليفون : ٢٢٧٤١٧٣٨

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

اهداء

إلى .. تلك القلوب الحانية، التي آزرتني بعطفها و مودتها كلما اشتدت لحظات الضيق، و رسمت في عيني ابتسامات الأمل كلما تناءت المسافات في دربي الطويل:

إلى .. زوجتي الحبيبة

إلى .. أولادي : هديل وأسماء وشروق وعبدالله.

أهدي هذا الكتاب.

جمال حامد

www.alkottob.com

** معرفتي **

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

مقدمة الطبعة الثانية

منذ أن بدأت في كتابة سلسلة شعراء قتلتهم الكلمات وأنا أشعر بشيء من الخوف والترقب لاسيما وأن البحث في كلمات هؤلاء الشعراء يتطلب الغوص في أعماقهم والتعرف على دواخلهم النفسية وتراكماتها التي أدت بهم إلى تلك النهاية المؤلمة وكانت بدايتي مع أشدهم عناداً وأكثرهم طموحاً وعزماً وأنفة وأحرصهم على الغاية وأوسعهم دراية ودربة فراد له عصي اللفظ وحوشي الكلام.

كانت بدايتي مع أبي الطيب المتنبي عندما رسمت ملامح مقتله بمقال نشر بإحدى المجلات العربية وكان مشواري مع هذا الكتاب الذي لم يخلو من صعوبات تجاذبت معها صوراً شتى بين المودة حيناً والجفاء أحياناً كثيرة.

وكانت البداية اتفاق شفهي مع أحد الناشرين بحيث يتولى أمر الكتاب طباعة وتوزيعاً وكان همي الأكيد أن يخرج الكتاب الى حيز الوجود بالصورة التي أرجوها فقمت بإعداد الكتاب وإخراجه وقدمته للناشر كاملاً ومعداً للطبع.

كانت فرحتي غامرة عندما حصلت على النسخة الأولى من المطبعة - عام ١٩٩٧م - سعادة لاتقف عند حد لاسيما وأنها جاءت بعد معاناة نفسية كبيرة منها ما هو شخصي ومنهاما يتعلق بشخصية المتنبي التي أتعبتني بصلفها وغرورها وكبريائها وعنادها ومنها ما كان مع الناشر نفسه الذي اتفق مع مطبعة ثم أخرى ثم أخرى وهكذا دُواليك إلا أن هذا العناء كله قد تلاشى مع حصولي على النسخة الأولى من المطبعة التي تولت طبع الكتاب وعندما تم توزيع الكتاب كنت أتنقل بين المكتبات وباعة الكتب لأراقب حركة الكتاب مع القارئ وكلما نفد الكتاب من مكتبة كنت أشعر بالغبطة والسرور إلا أن دوام

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الحال من المحال فقد تم بيع دار النشر من شخص لأخر ثم آخر ولم أعرف شيئاً عن الكتاب بعد ذلك.

لكن هذا الموقف لم يقف حجر عثرة في طريقي فلقد بدأت كتابي الثاني وكان شاعراً معاصراً فيه من المتنبي الكثير ويختلف عنه في الكثير فيه العزة والكبرياء وفيه القوة والعزيمة والشاعرية الدفاقة التي لم تقف عند حد بل تجاوزت حدود عمره بكثير فتفوق على كل أترابه ونظرائه ويختلف عنه في اعتزازه بعقيدته وإسلامه العميق المتغلغل في رأسه حتى أخمص قدمه إنه الشاعر الشاب هاشم الرفاعي - الذي وافته المنية في سنوات شبابه الأولى عام ١٩٥٩م - وانتهيت من الكتاب على طريقتي المعهودة وقدمته للدار السعودية للنشر والتوزيع حيث استقبلني - حينها - نائب مدير الدار الأستاذ حسن غراب بابتسامة عريضة تخفي وراءها حنكة مجرب واستلب الكتاب منى وكلما سألته متى سيخرج الكتاب إلى حيز الوجود أجابني الشهر القادم وظل الشهر القادم يلاحقني علىٰ مدى عدة أعوام فجعلت أتناسى الكتاب معه ونحيت عني مسودات الكتب الباقية جانباً وطفرت من عيني دمعة حزينة على ليال طوال مكثت فيها أعد الكتاب تبويباً وتحريراً وصفاً ومراجعة بيني وبين من أحب .

عدت من أجازه صيف عام ٢٠٠٤م كانت أجازة مثقلة بالمشاكل إلا أن الله سلم فيها وفي ليلة الثامن والعشرين من شهر أغسطس من نفس العام تلقيت مكالمة هاتفية بدايتها تنم عن فرحة عارمة وبلغة متفائلة من الأستاذ حسن غراب نائب المدير العام للدار السعودية للنشر حيث باغتني بعد الرد على الهاتف مباشرة «لقد صدر كتاب هاشم الرفاعي وحقق نتائج طيبة بفضل الله خلال فترة وجيزة وأريد إعادة طباعة كتاب المتنبي من جديد واستكمال بقية سلسلة شعراء قتلتهم الكلمات».

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وكما حاورني في كتاب هاشم حاورته في كتاب المتنبي حتى قال لي (الآن أنا أجري وراءك) إلا أن حبي العارم لشعر المتنبي قد غلب على تطبعي فاستخرجت الطبعة الأولى من الكتاب وديوان المتنبي وبدأت رحلتي من جديد مع أبي الطيب المتنبي بعد أن أشار عليّ الأستاذ عبد الله بن رشيدان المغامس التربوي والمفكر السعودي بإضافة بعض قصائد المتنبي والرؤى التي تواكب حداثة الطبعة الحالية عن سابقتها إلى الطبعة الجديدة من الكتاب ولتكن بمثابة نبراس أمام القارئ يعرف من خلالها حدود الشاعر وملكاته وثقافاته المتعددة وتضيف جديداً على الطبعة الأولى وقد أخذت بمشورته ووضعت لهذه القصائد عنواناً قصائد تؤكد على ثقافة المتنبي وسعة مداركه.

لقد حاولت أن أقدم كتاب المتنبي لعموم القراء دون التركيز على فئة دون أخرى بدءاً من نشأته منذ أن كان صبياً قوى الخيال والمدارك ذاته تمثل مدائحه فيراها أفضل من كل ممدوحيه وانتهاء بمأساته وقتله فالرجل بمفهومنا المعاصر كان فضائية إعلامية ذائعة الصيت إذا أنشد قصيدة أو مدح شخصاً فإنها تمتد عبر الأقطار قاطعة حدود الزمان والمكان يرفع بقصائده مكانة من يريد إلى اعلى المراتب والغايات كل ذلك فتح نار الحقد عليه من الكائدين له والكارهين لمسيرته وعلى الرغم من معاصرة المتنبي للكثيرين من الشعراء إلا أنه كان أوفرهم طموحاً وأغزرهم علماً وأقواهم شاعرية وأخصبهم خيالاً وأقدرهم على التفرد بالقول والتأثير في النفوس وأوسعهم ثقافة ولغة.

ولولا شعر المتنبي ومدائحه التي تفرد بها لما نقل لنا تاريخ الأدب كثيراً عن سيف الدولة الحمداني ولاعضد الدولة ولا كافور الإخشيدي ولا غيرهم فالرجل سجل أحداثاً ووصف معاركاً وأرَّخ لحقب ومدح أمراءً وقادة وهجا بعضهم في كل أشعاره فعرفنا من خلال أشعاره كل هؤلاء وغيرهم وكان حرص

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كل منهم على تبني المتنبي لفتوحاتهم في شعره كبير جداً مما جعل الكثيرين منهم يتغاضى عن كبرياء المتنبي وصلفه وغروره لقد هرول الكثيرون إليه يخطبون وده الشعري لعلمهم أن مدائحه ستبقى ما بقى في الدنيا حياة.

وفي الختام أتمنى أن تكون الطبعة الثانية من كتاب المتنبي عند حسن ظن القارئ العربي شاكراً الأخ الأستاذ حسن غراب حرصه وإلحاحه المتواصل في طلب الكتاب ضارعاً إلى الله تعالى أن يتواصل العطاء بيني وبين القارئ العربي في كل مكان بإذن الله تعالى شاكراً كل من أهدى إلى معلومة أو نصيحة أو فكرة في سبيل إبراز هذا الكتاب على النحو المأمول.

جمال حامد

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

مقدمة الطبعة الأولى

على قَدْرِ أَهْلِ العَزمِ تَأتي العزائمُ و تأتِي عَلَى قَـــدرِ الكِرَامِ المكَارمُ
وَ تَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَغِيرِ صِغارُها وَ تَصْغرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

تذكرت هذه الأبيات التي قالها «أبو الطيب المتنبي «في مدح سيف الدولة الحمداني سنة ثلاث و أربعين و ثلاث مئة هجرية، و أنا أدلف لإعداد هذا الكتاب من سلسلة شعراء قتلتهم الكلمات.

و فجأة مرّ بخاطري تذكار بعيد حينما كنت في المرحلة الثانوية و قد وقف أستاذ اللغة العربية يشرح لنا بأسلوبه المبهر و منطقه الواضح و عشقه الأخاذ لشخصية المتنبي تلك المعاني الجميلة التي تكتنفها هذه الأبيات فينقلنا كالفراشة من غصن إلى غصن و من دوحة إلى دوحة لنقتطف من تلك الثمار أطيبها و من تلك الينابيع الدفاقة أعذبها و من تلك النفسية طموحاتها و مأربها، و من يومها وقد وقعتُ في شباك هذا الشاعر القوي المعاني الطموح لأبعد المدارك، الذي شيد لذاته تلك المكانة الخالدة فكانت كلماته صورة صادقة تصور لنا دخائله و خفاياه النفسية فأخذت أبحث عن ديوانه حتى عثرتُ عليه و رحتُ أُطالع صفحاته بين الفينة و الأخرى متأملاً إبداعاته الشعرية الفريدة فكانت تصارعني نسائم المودة و رياح الجفاء حينما يشق عليّ الأمر في بعض معانيه كنت أُلهبُ الخطى إلى من هو أعلم بالشاعر مني ليكشف لي النقاب عن غوامض الكلم وما ترمي إليه هذه الأبيات.

و المتنبي الشاعر الفذ يختلف عن الكثيرين من نظرائه و أترابه لاسيما و هو القائل :

أمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهي بِمَا و كأَنه فَمَا أحُدُ فَوْقِي ولا أَحَدٌ مِثْلي

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ومن هذا المنطلق كانت حياته.... معيناً لا ينضب مهما كتب عنها ومهما حاولنا أن نبحر في شخصية الرجل و تراثه الشعري فسوف يكون هناك متسع لمن يريد أن يلج إلى شخصيته.

فحينما فكرت في إصدار سلسلة شعراء قتلتهم الكلمات تَطَلَّعتْ عيني على شخصية المتنبي الشاعر العملاق الذي أخذت كلماته بمجامع القلوب و ملأت أبياته الدنيا وظني أنه سيبقى ما قدر للأدب و رجاله الحياة.

و كان أول من أخذ بيدي إلى التعرف عن كثب على شخصية المتنبي أستاذي و معلمي الدكتور حلمي حسن أبو العز الذي أكن له كل تقدير و اعزاز لبحثه الرائع الفريد (الشخصية و الانعكاسات النفسية في مدائح المتنبي) الذي أزال كثيراً من الالتباس و الغموض وما اغتم علي من الجوانب في حياة هذا الرجل الذي راح ضحية كلماته.

و المتنبي ليس بالشخصية الهينة التي يمكن أن نقف على أبعادها بسهولة و يسر دون أن تعترض سبيلنا الحواجز و كيف ذلك و هو القائل :

مَا نَالَ أَهْلُ الجَاهِلِيةِ كُلُهِم شِعْرِي وَلا سَمِعَتْ بِسحْرِي بَابَلُ

فلقد عاب البعض على المتنبي في حضرة أبي العلاء المعري فقال : يكفي المتنبي أنه القائل :

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي القُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنّ مِنْكِ أَوَاهِلُ

فقال أحدهم ما نظن هذا الأعمى إلا يقصد قول المتنبي :

و إذا أتَتْكَ مَذَمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَهَادَةُ لِي بأَنِي كَامِلُ

و من ثم فإننا نجد أن وراءَ كل بيت من أبيات المتنبي حكاية أو موقف ولابد وأن وراءَ مصرعه كل هذه الأبيات مجتمعة وما تكتنفه من معاني و اتجاهات.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تلك التي حاولت قدر استطاعتي أن أضم بعض خيوطها في هذا النسيج الماثل أمامكم في صورة هذا الكتاب الذي تحفزت لإصداره إحدى دور النشر لنضيف إلى المكتبة العربية فكرة جديدة عن حياة هؤلاءِ الشعراء الذين قتلتهم الكلمات، وكان الحظ الأوفر في نقطة البداية لأبي الطيب المتنبي...

و نستميح القارئ الكريم عذراً، إذا كنا قد أغفلنا عن غير عمد أو قصد جانباً من الجوانب في خضم الحياة الزاخرة لهذا الشاعر العملاق «فالكمال لله وحده».

و الله ولي التوفيق.

جمال حامد

** معرفتي **

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

نشأة المتنبي

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كثر أعداؤه، و قل أحباؤه، و خالطت آماله التي ينشدها ألاماً من المجتمع، فانعكس كل هذا على شعره و بدت شخصيته في كل أقواله مرتدية ثوب التحدي و الكبرياء.

كان صورة صادقة تتحدث عن نفسها و أحاسيس دفّاقة تتجلى في عظمة و شموخ متحدية عوارض الأيام و صروف المحن فتخرج من بين آلامها ثمرات شهية تتمتع بلذائذها أجيالٌ قادمة على مدار الزمن، نتأمل فيها شموخ الإبداع الفني في صوت منفرد و نغمات مهيبة و إحساس دفاق يتألق في أجواء الكرامة، ضارباً عُرض الحائط بكل مهين و وضيع، وكيف لا يكون كذلك، وهو الأوحد بين أترابه الثائر على ذاته و نشأته، المتحدي لكل المتحذلقين و المتشاعرين «من تعلم القول فغاص في أعماقه، و خضع له عصيُّ اللفظ و حواشي الكلام».

فانفرد بذلك القول الفريد و الشموخ الواثق و الصوت المهيب.

فقد علا بقدره و خط ببنانه ملامح العظمة لذاته في كل أشعاره و ظن بذلك أنه امتنع عن كل صروف الحياة، فقال في تكبر و كبرياءٍ معهود فيه:

أي مَحَلٍّ أرْتَقِي ... أيُ عَظِيمٍ أتَقِي
وَكُل مَاقَدْ خَلَقَ اللـ ... ـهُ وَمَا لَمْ يُخْلَقِ
محْتَقَر في هِمَتِي ... كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي

وقال :

أمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهي بَمَا و كأَنه ... فَمَا أحَدُ فَوْقِي ولا أَحَدٌ مِثْلي

ترى أي كبرياءٍ صاغ هذه الأبيات و أية نفسية جاءت من أعماق التراب و من مجاهل النسب دفاقة الكبرياء من أجل ميلاد جديد لوثبة طموحة ؟ في أي عصر غريب شق عن صلف عظمته و غروره و هموم ماضيه البائس ؟.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فإذا ما كشفنا النقاب عن بعض ملامح العصر العباسي، و ملامح الازدهار العلمي، والسمو الفكري، و الانتعاش المادي، و التقدم الاجتماعي، والتحفظ الديني أول الأمر، و انقلاب الحياة آخر الأمر بكل ألوانها دينياً وسياسياً واجتماعياً. و ليس لنا أن نخوض في تفاصيل تلك الحياة بقدر مايهمنا أن نلقي بعض الأضواء على الحياة السياسية في هذا العصر "منذ أفلت طوالع المجد و العظمة للدولة الأموية و بدت اشعاعات الثورة العباسية التي اجتاحت معالم الدولة الأموية حينما أخذ أبو مسلم الخرساني وقائده قحطبة بن شبيب الطائي يضرمان الثورة في كل مكان، ورفع العباسيون الرايات السود في كل صوب يؤازرهم النصر و تلاحقهم طموحاتهم في بسط نفوذهم، فلم يجد أبو العباس السفاح أي عقبة تحول بينه و بين تقدمه حينما شق طريقه إلى مسجد الكوفة، و اعتلى منبرها و نادى بنفسه خليفة للمسلمين".

«ثم امتدت حدود الإمبراطورية العباسية على يد أبي جعفر المنصور حتى بلغت كشمير في الهند خلال الفترة من (١٣٦-١٥٨هـ) ولقد حاول العباسيون خلال هذه الفترة محاكاة الأكاسرة و القياصرة في تنظيم أمور دولتهم الجديدة فاتخذوا من الفرس وزراء لهم و مكنوا لهم من السيطرة على كل ما في الدولة من أمور، ولقد صاحب ذلك كله حب الرخاء والترف و بدت قصور الخلفاء في بغداد كأنها قصور الأكاسرة في المدائن».

ومن ثم تحولت الأنظار إلى الجديد من العادات والتقاليد، فلم تعد البيئة العربية كما كان في سابق عهدها، فلقد شاع اللهو والفساد بين جنباتها وتنوعت الهوايات ومال الناس إلى الرقص والغناء والتفنن في الملبس، فلقد شاعت المسكرات، والتسري في السر والعلن، وحلقات الأنس، واجتياز دروب

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

اللهو، وانتشار الرقيق، وظهور الغلمان والغلاميات الحسان حيث كانت المرأة تحاول محاكاة الرجل مظهره وقد تغزل بذلك الكثير من الشعراء.

نزعات تدعو إلى الفضيلة وهبوب رياح الفلسفة:-

كما ظهرت على الجانب الآخر نزعات تدعوا إلى الفضيلة والأخلاق والبعد عن الفجور، والظلم والبغي. كما هبت رياح الفلسفة اليونانية على الأقطار العربية فزادت النزعة إلى الحرية و قد برز على أثر ذلك المعتزلة، والخوارج، والزنادقة، والدهرية، والمرجئة، والنصارى المختلفوا النزعات، والصابئة، والمانوية، وغير ذلك...

ومن ثم ظهرت جوانب الخلاف بين هذه الفرق و اشتد النزاع فانتشرت أساليب المجادلة و السفسطة، فعظمت الشخصية الفردية و ضعفت قوة الجماعة حتى كادت لا تكون شيئاً.

نشأة المتنبي:

فإذا ما ولد في هذه البيئة صبي لمّاح، قوي الخيال، طموح المدارك، رقيق الأحاسيس، بعيد النظرات، فما سر طموحه؟ ما هي أسباب العظمة التي جعلت منه قدراً يتفوق علي كل أقرانه ونظائره؟ «ذاته تمثل مدائحه فيراها أعظم من كل ممدوحيه فيأخذ من فائض عظمته ويخلعها على من شاءَ منهم».(١)

إنه الشاعر الكبير :

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي النسب، الشاعر المعروف بالمتنبي.

---

(١) الشخصية والانعكاسات النفسية في مدائح المتنبي د/ حلمي حسن.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

هكذا قيل في الترجمات عنه، وجعفي جد المتنبي هو جعفي بن سعد العشيرة من مزدحج من كهلان من قحطان، و كنده التي ينتمي إليها هي محلة بالكوفة يقول عنها البغدادي : أن بها ثلاثة آلاف بيت بين سقاء ونساج وليست كندة القبيلة كما يرى البعض.

ولقد ولد شاعرنا في محلة كندة سنة ٣٠٣ من الهجرة و شب لوالده عبدان السقاء، الذي كان يسقي الماء لأهل المحلة و الذي مثل نقطة سوداء في حياة ولده لتفاهة صنعته التي فتحت نار الحرب عليه من أوسع أبوابها من الشانئين و الكائدين له ليدخل الكبرياء و الغرور عليه فشاعرنا لا يرضى أن ينتسب إلا إلى المجد و الكرم و البأس فليفخر به الفخر و لتعتز به الكرامة والمروءة. وقد دفع هذا الكبرياء الكثير من الشعراء لشن هجمات الهجاء عليه ولم يجدوا فيه نقطة يمكن النفاذ بها إليه إلا ضعته في صناعة والده فقال فيه أحدهم :

أي فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الفَضْلَ ... مِنَ النَاس بُكْرَةً وَعِشَيَا

عَاشَ حِيناً يَبِيعُ فِي الكُوفَةِ المَاءَ ... وَحِيناً يَبِيعُ مَاءَ المحَيَّا

وقد جعلت هذه اللمزات التي تلقاها الشاعر في والده أن يتناسى أو يتغافل وجه عبدان السقاء فيرد على كيد الكائدين له بقوله:

أنَا مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أبَا البَا ... حِثِ والنَجْلُ بَعض مَنْ نَجَلَهْ

وإنما يَذْكُرُ الجُدُودَ لَهُمْ ... من نَفَرُوهُ و أنْفَدوا حِيَلَهْ

فَخْراً لعَضبٍ أرَوْحُ مَشْتَمِلَهْ ... وَسمْهَرِي أرَوْحُ مُعْتَقِلَهْ

وَلْيَفْخَرِ الفَخرُ إذَا غَدَوْتُ به ... مُرْتَدِياً خَيْرَه وَمُنْتَعِلَه

أنا الذي بَيّنَ الالَهَ بِهِ الأ ... قْدَارَ و المرءُ حَيْثُما جَعَلَه

جَوْهَرَةٌ تَفرحُ الشِرَافُ بِهَا ... وَغُصَة لا تُسِيغُهَا السِفْلَه

إن الكِذابَ الذَي أُكَادُبِه ... أهْونَ عِنْدِي مِنَ الذِي نَقَلَهْ

فَلا مُبَالٍ وَلا مُدَاجٍ وَلاَ ... وَانٍ ولا عَاجِزٍ ولا تُكِلَهْ

www.akotob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وَدَارِعٍ سُـفْـتُـه فَـحَـرّ لقى ... في الملتَقَى والعَجَاجُ و العجلَهْ
وَسَـامِـعٍ رُعْـتُـه بِقَـافِـيَـةٍ ... يَحَارُ فيـهَـا المنَقحُ.. القَـولَهْ
رُبَمـا أُشْـهـد الطعَـام مَـعي ... مَنْ لا يُسَاوِي الخُـبْـزَ الذي أكلهْ
وَيَظْهَـرُ الجَـهْلَ بِي و أعْـرِفُـه ... والـدرُدُرُّ بِـرَغْمِ مَـنْ جَـهَـلَهْ

ومن ثم فإننا لم نجده يذكر في شعره نسبه أو قبيلته ولا أشار في ذلك إلى والده أو جده وإنما أشار إلى جدته لأمه وكان يدعوها والدته في أشعار كثيرة ذلك أنها كما يقال كانت همدانية صحيحة النسب وكانت من النساء الصالحات بالكوفة فقال:

أَمَنْسِيَ السكُونَ وَحَـضَـرَمَـوْتٍ ... وَوَالدتي وَكِنْدَةَ والسِـبَـيـعَـا

ومما أوردته مأثورات المتنبي الشعرية تلك القصيدة العصماء التي يرثي فيها جدته وكانت قد اشتاقت إليه فأرسلت له كتاباً تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها فتوجه نحو العراق ولكنه لم يتمكن من دخول الكوفة على حالته تلك فانحدر إلى بغداد وكانت جدته قد يئست منه فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه فأخذت تقبل كتابه حتى حمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها الفرح فلما علم المتنبي بما حدث لجدته لأمه قال يرثيها :

الا لا أرَى الأحْـدَاثَ مَـدْحـاً ولاذَمـا ... فَمَا بَطْشُهَا جَهْلاً ولا كَفُّها حلِما
إلى مِثْلِ مَا كَان الفَتَى مَرْجِعُ الفَتَى ... يَعُودُ كمَا أُبدي و يكري كما أَرمي
لك اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبيبَهـا ... قَتِيلَةَ شَوْقٍ غَيْر مُلحِقِهَا وَصْمَا
أَحِنُ إلى الكأسِ التي شَـرِيَتْ بهَـا ... و أَهوى لِمَثْوَاهَا التُرَابَ ومَا ضَمـا
بَكَيْتُ عَلَيهَـا خِيفَـةً فِي حَيَاتِهـا ... وذَاقَ كِلانَا ثُكْلَ صَاحِبِـه قِـدْمَا
وَلو قَـتَل الهَـجْـرُ المحِبينَ كُلهَمُ ... مَضَى بَلدٌ بَاقٍ أَجِدتُ لَه صَرْمَا
عَـرَفْتُ الليـالي قَبْلَ مَـا صَنَعَتْ بنا ... فَلَمَـا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بهَـا عِلْمَـا
مَنَفِعُـهـا مَـا ضَر فِي نَفْعِ غَـيْـرِها ... تَغـذى و تُروى أَن تَجُوعَ و أَن تَظْمَـا

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أتاها كِتَابي بَعدَ يأسٍ وَتَرْحَة فَمَاتَتْ سُرُوراً بِي فَمِتُ بِهَا غَماً
حَرَام على قَلْبي السرُور فإنني أَعُد الذَي مَاتَتْ بِه بَعدَهَا سُما

ويمضي المتنبي في رثائه لجدته بأسلوبٍ شجى يأخذ بمجامع القلوب ولكنه يرجع إلى ذاته في هذا البيت الذي يفتخر فيه بوالد جدته لأمه وإذا لم تكن كذلك فيكفي أنها أم له فيقول:

وَلَو لَمْ تكوني بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ لكَانَ أبَاكِ الضَخْمُ كَوْنكِ لِي أماً

فالمتنبي لم يعبأ بأسرته في أشعاره وإن أسرته لأجدر بها أن تفتخر وتعتز به وتحلق به إلى أقصى الغايات حيث يقول:

لا بِقَوْمِي شَرفْتُ بَل شَرَفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخرْتُ لا بِجدُودي

فلم يكن المتنبي مثل جرير حينما افتخر بأبيه، وإنما هو مكابر متجاهل كل الجهل لحياة والده عبدان السقاء الذي تنقل معه من الكوفة إلى البادية ثم عاد إليها بعد أن اشتد عوده و تدفقت فيه مخايل الذكاء، فحينما أغار القرامطة على بغداد بقيادة إمامهم أبو طاهر عام ٣١٦هـ وبعد جلائهم عن العراق ارتحل عن الكوفة في صحبة والده إلى بغداد.

والقرامطة: حركة باطنية تنسب إلى حمدان بن الأشعث ويلقبا بقرمط لقصر قامته وساقيه وهو من خوزستان فى الأهواز ثم رحل إلى الكوفة اعتمدت الحركة التنظيم السرى العسكرى وكان ظاهرها التشيع لأل البيت وحقيقتها الالحاد والاباحية وهدم الأحلاق والقضاء على الدولة الإسلامية بدأ بها عبدالله بن ميمون القداح بنشر مبادئ الاسماعيلة فى جنوب فارس سنة ٢٦٠هـ وكان له داعية فى العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشانى وفى عام ٢٧٨ قام حمدان ببث الدعوة جهرًا قرب الكوفة وبنى دارا سماها دار الهجرة (وللمزيد انظر منشورات الفدوة العالمية للشباب الإسلامى).

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

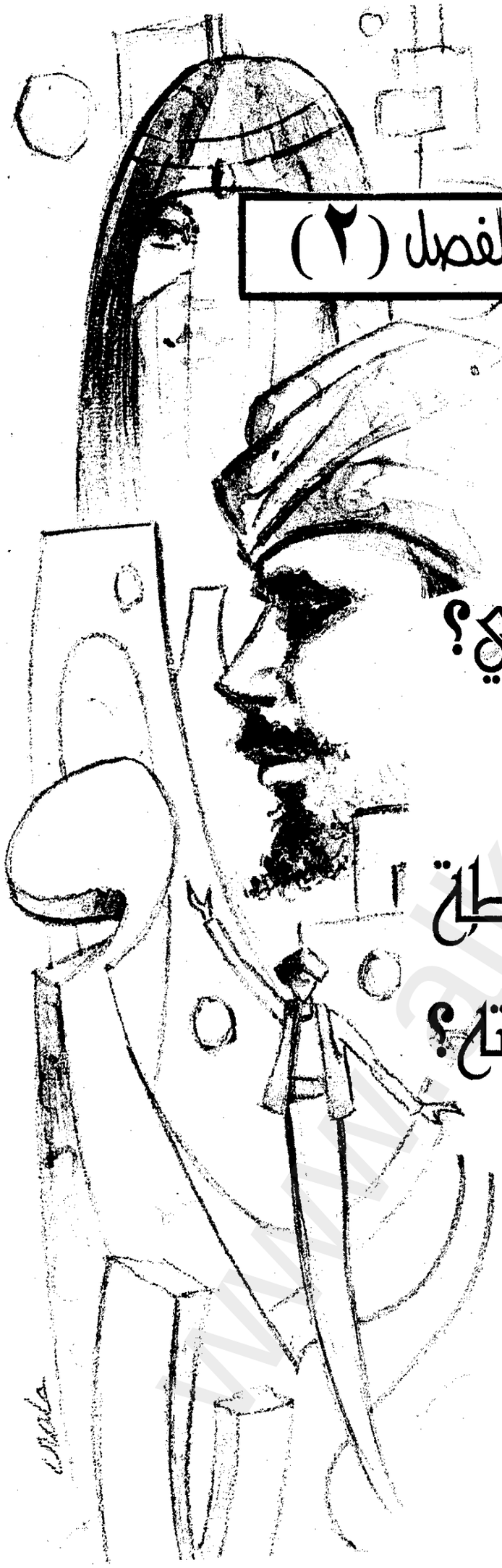

الفصل (٢)

هل أحب المتنبي؟ وكيف حاول التغلب على النقطة السوداء في حياته؟

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

تغنى أبو الطيب المتنبي بالحب في مطلع الكثير من قصائده شأنه شأن باقي الشعراء، لكنه لم يكن شغله الشاغل ولم يكن همه في الحياة ـــ فلقد كان همه في الحياة أوسع من ذلك و أعمق حيث كان يضع طرفه إلى ما أبعد من منتهى بصره.

كما أنه لا يمكننا أن ننفي وجود عاطفة الحب عند أبي الطيب المتنبي كلية لأنه بشر له مشاعر و أحاسيس و يمر في رحلة عمره على الكثير من التجارب ولابد وأن عاطفة الحب قد حركت ساكنه في يوم من الأيام لكنه لم يأبه بها ولم يكترث بوجودها بالقدر الكافي لأنه كان يطمح إلى أبعد من ذلك.

وشاعرٌ مثل أبي الطيب المتنبي لم يكن يترك العنان لأنثى حتى ولو احتلت مكانة كبرى في قلبه و كيف يترك العنان لها وهو يسعى إلى العلياء.

ومن المرجح أن يكون المتنبي قد احتفظ بمشاعر الحب و أحاسيسه ليخرجها حيث شاء شعراً يدغدغ به المشاعر و الأحاسيس على أسماع ممدوحيه وكيف لا ؟ وهو الذي يأخذنا في رحلة من المشاعر المنسابة و الأحاسيس الدفاقة وهو يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن بن الرضى الأذدي حيث يقول :

أَرَقٌ عُلَى أَرَقٍ وَمِثْلي يَأرَقُ ... وَجَوى يَزِيدُ وَعَبْرَة تَتَرَقْرَقُ

جَهْدُ الصَبابةِ أنْ تَكُون كَمَا أَرَى ... عَيْنٌ مُسهَدَةٌ وقَلْبٌ... يَخْفِقُ

مَا لاح بَرْقٌ أو تَرَنَّم.. طَائرٌ ... إلا انثَنَيْت وَلِي فُؤَادٌ شَيِّقُ

جَرِبْتُ مِن نَارِ الهَوى مَا تَنْطَفِي ... نارُ الغَضَا وتَكِلُ عَما.. يحرقُ

وَعَذلْتُ أَهْل العِشقِ حَتى ذُقْتَه ... فَعَجِبْتُ كَيفَ يَمُوتُ مَنْ لا يَعْشقُ ؟

وَعَذرْتُهُم وَعَرِفْتُ ذَنْبي أنني ... عيرتُهم فَلَقِيتُ مِنهمْ مَا لَقُوا

أبني أَبينا نَحْنُ أهْلُ مَنَازِلٍ ... أبداً غُرَابُ اَلْبَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

إنه يصرح لنا من خلال هذه الأبيات أنه لم يكن يأبه بالحب حتى تعرض له بل يتعجب أكثر من ذلك كيف يموت من لا يعشق؟

وعلى الرغم من منطقية هذه المعاني وانسيابيتها إلا أننا نراها تخدم هدفاً من أهداف المتنبي حتى تترك القصيدة أثرها في نفس ممدوحه.

وأحياناً يلج المتنبي إلى فكرة جديدة لم يَسْبِقهُ أحد فيها إنه يرفض فكرة النسيب الذي تبدأ به القصائد وإذا كان النسيب برقته وعذوبته يلفت الانتباه، ويشنِفُ الأذان، إلا أنه يأخذنا إلى معانٍ مبتكرة حيث أن حب الأمير سيف الدولة الحمداني أقوى وأعمق و نظن أنه بهذه المقدمة الرائعة قد غطى فيها على الشعراء من حوله ونظن أنه قد أثر في قلب سيف الدولة الحمداني فاحتل المكانة التي يأملها ويطمح إليها فيقول:

إذا كَانَ مَدْحاً فالنَسيبُ المقدم ... أكلُ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً متيمُ؟

لحبُ بن عَبْدِ الله أوْلَى فإنَه ... به يبدأ الذكر الجميلَ ويختَمُ

وليس هذا التجديد بجديد على المتنبي الذي كانت تتضخم طموحاته كلما شب عن الطوق ولاحت له بارقة أمل يحاول جاهداً أن يجتازها فإذا كان الحب قد استبد به فهذا قبل أن يلحق بسيف الدولة الذي سيجد في رحابه الأمل المنشود حيث يقول:

أَطَعْتُ الغَوانِي قَبْلَ مَطْمحِ نَاظِرِي ... إلى منظرٍ يَصْغُرنَ عَنْهُ و يعظمُ

والمتنبي في تعامله مع الحسان يخضع نفسه للمنطق والعقل في كثير من الأحيان حيث أعلنها صراحة أنه يحفظ السر في داخله ويطوي عليه جنانه فلا يستطيع جليس أن يطلع عليه أو يتعرف على مكنونه وإذا ركن إلى الحسان فإنما هي مسألة وقت للترويح عن النفس إنها مسألة تكميلية وليست همته في الحياة فيقول:

وللسرِ مِني مَوْضعٌ لا يَنالُه ... نَدِيمٌ ولا يَفْضِي إليهِ شَرَابُ

وللخودِ مِني سَاعَة ثُمَ بَيْنَنَا ... فَلاةٌ إلى غَيْرِ اللقاءِ تُجابُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ المتنبي و تذوق الجمال:

المتنبي شاعر مرهف الحس يستطيع من خلال مشاعره أن يميز الغث من الجيد والجمال من القبح والجمال المطبوع من الجمال المصنوع ومن ثم فإنه يتذوق الجمال الأخاذ في البدويات لأن حسنهن غير مجلوب بزينة مصطنعة كما أنهن لا يجدن مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب فلغتهن طبيعية وجمالهن طبيعي وفطري حيث يقول:

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويَاتِ الرعابيبِ

حُسْنُ الحَضارةِ مَجْلوبٌ بتطريةٍ ... وفِي البداوة حُسنُ غَيْرُ مجلوبِ

أفدى ظِبَاءَ فلاةٍ مَا عَرَفْنَ بهَا ... مَضْغَ الكلامِ ولاَ صَبْغَ الحَواجِيبِ

ولا برزن من الحمام مَاثلةٍ ... أوراقُهُن صَقِيلاتُ العَرَاقِيبِ

ومَنْ هَوى كُل مَنُ لَيْسَت مموهة ... تركتُ لونَ مشيبي غير مخضوبِ

كما أن المتنبي المتذوق للجمال على دراية كاملة بالحسان لاسيما إذا لبست إحداهن عقداً في عنقها فإنها تزداد روعة و بهاءً انظر معي حينما يقول:

وأَسبح شِعْرِي منْهُمَا فِي مَكَانَةٍ ... وَفِي عُنقِ الحْسنَاءِ يُسْتَحْسَنُ العقدُ

وهناك الكثير من الأمثلة التي تدل على تذوق المتنبي للجمال ولكنه لم يكن يأبه به ولم يسترشد به إلا عند الحاجة حينما يريد أن يؤثر في قلب ممدوحه.

❖ رؤية المتنبي للعشق:

إن المتنبي يَكْشِفُ لنا في أكْثرَ مِنْ مَوْضع عَنْ طبيعته و نفسيته وما يرمي إليه ويطمح إليه من تطلعات وحينما يكشف لنا عنها فإنه يكشف عن ذلك صراحة و دون مواربة حيث يقول :

ومَا العشقُ إلا غِرةٌ وطِمَاعة ... يُعرضُ قلبٌ نَفْسه فَيُصَابُ

وَغْيرُ فُؤَادي للغوانِي رَميّةٍ ... وغير بَنانِي للزجَاجِ... ركَابُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تَرَكْنَا لأطْرَافِ القَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ فَلَيْسَ لنا إلا بِهِنِ... لُعَابُ
نُصَرِفُهُ للطعْنِ فَوْق حَوَادرٍ قد انقصفتِ فيهنَ مِنْه كعابُ

ثم يرسم لنا المتنبي طموحاته و أهدافه وغاية مقصده حيث يقول:

أعزُ مَكَانٍ فِي الدُنَى سَرَجُ سَابِحٍ وَخَيْر جَلِيسٍ في الزمانِ كِتَابُ

ويقول المتنبي في قصيدة يمدح بها الحسين عليّ الهمذاني بقوله:

لَقَد حَازَنِي وَجْدٌ بِمَن حَازه بُعدُ فيا ليتني بعد ويا ليته وجد
أسر بتجديد الهوى ذكر ما مضى وإن كان لا يبقى له الحجر الصلد
سهاد أتانا منك في العين عندنا رقاد وقلام رعى سربكم ورد
ممثلة حتى كأن لم تفارقي وحتى كأن اليأس من وصلك الوعد
وحتى تكادي تمسحين مدامعي ويعبق في ثوبي من ريحك الند

ثم يحلل لنا المتنبي بأسلوبه وبنظرته الثاقبة التي تدل على حنكته وكأنه يحمل مبضع جراح في يده ليكشف لنا عن الجوانب النفسية في الأُنثى حيث أنه لا يدوم لها عهد وإن عشقت كانت أشد صبابة وإن بعدت فما بعدها قصد وإن حقدت لم يبق في قلبها مكان للرضى وإن رضيت لم يبق مكان للحقد في قلبها حيث يقول:

إذا غَدَرت حَسْنَاءُ وَفّتْ بعَهْدِهَا فَمِن عَهْدِهَا إلاّ يَدُومَ لَهَا عَهْدُ
وإن عَشِقَتْ كَانَت أشد صبابة وإن فَرِكَتْ فَاذْهَب فَمَا فَرْكُها قَصْدُ
وإن حَقِدَتْ لَمْ يَبْق في قَلْبها رضا وإن رَضِيَتْ لم يبق في قلبها حِقْدُ

ثم يقرر لنا في البيت التالي تصوره لأخلاق النساء حيث يقول:

كَذَلِك أخْلَاقُ النِسَاء وَرُبَمَا يَضِلُ بهَا الهادي وَيَخْفَى بهَا الرشدُ

وعلى العموم فإننا نرى أن المتنبي لم يسلم قلبه لأنثى ولا فكر في ذلك وإن كانت هناك بعض الشواهد من أشعاره فإنما تدل على أنه كان يلجأ إلى

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

العواطف عندما يشعر أن الحاجة ملحة لاسيما وأننا إذا تتبعنا ديوانه لم نجد ما يدل على أن هناك قصة حب حقيقية وقع فيها الشاعر أو حاول أن يلج إليها ومما يدلُ على ذلك أن أبياته كانت مفعمة بالأنفة والعناد والكبرياء فكيف يعرف الحب طريقاً إلى قلبه؟ وهو القائل:

وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الحي مُرْتَدياً بِصَاحِبٍ غَيْرِ عزَهاةٍ ولا غزل (١)

فبان بين تراقينا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبلِ

❖ نقطة سوداء في حياة المتنبي:

لم يأنس المتنبي بذكر سيرة والده عبدان السقاء الذي مثل له نقطة سوداء في حياته كان يحاول الهروب منها ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ وكيف يتخلص من فقره؟

وكيف يهربُ من ضعته في نسبه؟ كيف؟!!.

لقد أجاب البغدادي على هذا التساؤل بقوله: «إن أباه دفع به إلى الكُتَّاب مع أشراف العلويين فكان يتعلم دروس العربية شعراً ولغة وإعراباً وكما يحدثنا الرواة بأن ثقافة المتنبي أنست بالعديد من المعارف ومختلف العلوم «وقصائده تكشف لنا عن هذه الثقافات المتعددة، فإذا أمعنا النظر نجد أن ثقافة المتنبي سرٌ من أسرار عظمته فالرجل قد بلغ فيها غاية لا تدانيها غاية فتعالى بنفسه وترفع عن غيره، وإن كانت شراً سيق عليه فنفر من الخلان والنظراء ولقد دفعه حبه الشديد للعلم و الأدب إلى النهم منهما فكان يَلزم أهل العلم والأدب والوراقين ولا يغادرهم «ومما يحكى على لسان الحسن العلوي أن وراقاً كان يجلس إليه المتنبي فقال : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى بن عبدان!!.

قلت: كيف؟

---

(١) العزهاة : الذي لا يرغب في صحبة النساء.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قال: كان عندي اليوم رجلٌ يبيع كتاباً للأصمعي من ثلاثين صفحة فأخذه الفتى وأخذ ينظر فيه طويلاً.

فقال الرجل: أتريد حفظه من تلك المدة؟ هذه بعيدة عليك!!!

ولكن الصبي (المتنبي) رد عليه بثقةٍ فقال: إن كنت حفظته أتهب لي الكتاب؟

فرد الرجل وقال: نعم.

فأخذ المتنبي يتلو عليه الكتاب سطراً سطراً ثم استلب الكتاب في كمه " فإن صحت هذه الرواية فهي تدل على ندرة ذكائه وقوته و توقد عقله مما جعله ينشد هذه الأبيات:

لا تَجْسِرُ الفُصَحاءُ تَنْشُد هَا هُنا بَيْتاً ولكِني الهِزَبْر البَاسِلُ !

مـا نالَ أهْلُ الجَاهِلِيَة كلهم شعري ولا سمعت بسحري بابلُ

وإذَا أتَتكَ مَذَمتِي مِنْ نَاقِصٍ فهي الشهَادَة لِي بأَنِي كَامِلُ

مَنْ لِي بِفَهم أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدعي أَن يُحْسَبَ الهنديُ فِيْهم بَاقِلُ

❖ أدباء بغداد في رحاب المتنبي:

لم يكن المتنبي شاعراً عادياً ولكنه كان شاعر تخضع له القوافي والأفكار طيعة لذا فقد كان أدباء بغداد كما يذكر لنا الرواة يؤمون المتنبي فيرددون شعره، ويقرؤون عليه وكان لهذا ميزة كبرى، فقد تعالى على كل أدباءِ بغداد فلم يجرؤ أَحدٌ على مقارعته أَو التغيير عليه لاسيما وأَن علم شاعرنا لم يقتصر على الأَدب فحسب بل كان جامعة متسعة المدارك على دراية بالتنجيم والفلك ولنا قوله:-

وإِن من العجائب أَن تراني فتعدل بي أَقل من الهباءِ

وتنكر موتهم وأَنا سهيلٌ طلعت بموتِ أَولادِ الزناءِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (٣)

المتنبي وإدعاء النبوة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

لقد حرص المتنبي على صقل مواهبه و تنمية تجاربه واثرائها بشتى العلوم والمعارف فكان جامعة متسعة المدارك لا يجرؤ أحد على التغيير عليه أو الوقوف في وجهه أو مقارعته!!!

ولكن، هل هذا كل ما كان يطمح إليه؟ وهل هذه النقطة هي منتهى آماله؟ وهل الثقافة التي اكتنفها هي السيف البتار بينه وبين شانئيه والحاقدين عليه؟

إنني لا أعتقد ذلك لأن ما تحصل عليه المتنبي يعد بالنسبة له وسيلة تدفع به إلى الغايات التي يصبو إليها وتتوق نفسه إلى تحقيقها إذن فلابد له أن يتميز بميزة أخرى تجعله في مصاف البشر غير العاديين إنه يريد أن ينسلخ من بشرة بني جنسه ليرتقي فوقهم مكانة ورفعة، ميزة تعبدُ أمامه طريق الريادة إلى ما يرمي إليه شيء خارق لا يستطيع أحد أن يأتي بمثل ذلك وما نظن هذه الحيلة إلا هروباً من وجه عبدان السقاء ذلك الوجه الذي ظل يطارده أينما حل أو قام.

وحول قضية ادعاء النبوة التي زعمها أو ادعاها نقف وقفات متأنية حول هذا الموضوع لنكشف عنها الستار حتى يتكشف أمام القارئ ملابسات هذا الموضوع.

يقولُ جاره وصديقه أبو الحسن بن أم شيبان الهاشمي الكوفي «لما خرج المتنبي إلى كلب وأنا فيهم ادعى أنه علوي حسني ثم ادعى بعد ذلك النبوة، ثم عاد مرة أخرى إلى ادعائه بأنه علوي إلى أن أُشهد عليه بالكذب في الدعوتين وحبس دهراً طويلاً حتى أشرف على القتل».

«أما العلامة: أَبو الوليد محمد بن الشحنة فإنه يُقر هذا الادعاء في كتابه روضة المناظر فيقول:

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

«إنه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق من بني كلب و غيرهم فخرج إليه أبو لؤلؤة نائب الأخشيد فأسره و حبسه أياماً ثم استتابه فلحق بسيف الدولة».

أما البديعي: فإنه يؤكد هذا الادعاء قائلاً: «إنه كان مما يُمَخْرِقُ به على أهل البادية، أنه كان مشاءاً قوياً على السير، عارفاً بالفلوات، ومواقع المياة، ومحال العرب بها، وكان يسير من حلة إلى حلة بالبادية وبينهما مسيرة أربعة أيام، فيأتي بماءٍ فيغسل وجهه و يديه ورجليه، ثم يأتي إلى أهل حلة أخرى ويخبرهم بما حدث في الحلة التي فارقها ويوهم أن الأرض تطوى له «وسئل في تلك الأيام عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: أخبر بنبوتي حيث قال:

لا نبي بعدي وأنا في السماء لا (برفع كلمة نبي).

إلا أن الدكتور حلمي حسن حسم هذه القضية في بحثه الرائع الفريد عن الشخصية و الانعكاسات النفسية في مدائح المتنبي، وبعد مرور ما يزيد عن ألف عام على موته حيث أورد رأيين الأول لأستاذنا مصطفى صادق الرافعي فقد أقر إدعاء النبوة حيث أورد بعض أقوال المتنبي التي يدعي فيها كذباً أنها أوحيت إليه منها «والنجم السيار، و الفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكفار لفي أخطار، امضي على سننك، واقفُ أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله».

والرأي الآخر للدكتور طه حسين والذي يقف منه الباحث [1] موقف المعارضة فقد تناثرت أقواله على صفحات كتابه فتوزع قصده مع سطوره، وتفرق بين الجمل مراده، فقد أَورد أن غضب الناس على المتنبي نتيجة لخروجه على السلطان، ولكن الحقيقة أن غضب الناس عليه لم يكن إلا لأمر جسيم فعلاً ليس هو بالتأكيد خروجه على السلطان بل ادعاؤه النبوة».

(١) الدكتور حلمي حسن، الشخصية والانعكاسات النفسية في مدائح المتنبي.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كما حدث بين أبي الطيب المتنبي وبين أبي عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي موقفاً يدل على ادعائه النبوة و كذلك جنوحه إلى قرمطته فقال: أنا نبي مرسل!!

فقلت له: إلى من مرسل؟

فقال: إلى هذه الأمة الضالة المضلة.

فقلت له: تفعل ماذا؟

فقال: أملأ الدنيا عدلاً، كما ملئت جوراً.

قلت: بماذا؟

قال: بإدرار الأرزاق والثواب العاجل لمن أطاع وأتى و ضرب الرقاب لمن عصى وأبى.

فقلت له: إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه وعذلته على ذلك.

فقال المتنبي:

أَعبد الاله معاذ إني ... خَفِيُ عَنْك في الهَيجا مقامي

ذكرتُ جسيم ما طلبى وأنا ... نخاطرُ فيه بالمهج الجسام

ويحسم الدكتور حلمي حسن هذه القضية في بحثه بقوله: «إن انهيار الجانب العقائدي عند المتنبي بحيث نجد أنه لم يقترب من الإسلام من قريب أو بعيد، فالدين منه براء وادعاؤه النبوة أمر لا غرابة فيه، بل تؤكد صحة ما ادعاه والذي نراه في العديد من أَشعاره، فالرجل (المتنبي) يستعذب قرب أنفاس الداعرات الغواني من أنفاسه ويعتبر ذلك عنده أحلى من فيه تسبح الله وتقدسه فيقول:

يَتَرَشَفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ ... هُنّ عِنْدي أَحْلَى مِنَ التَوْحِيد

ويستمر الدكتور حلمي حسن فيقول : «ولنا أن نقرر أن جنون العظمة الذي لازم المتنبي منذ أن شب عن الطوق وتعاليه بنفسه عن كل أترابه ورفاقه و

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كبره بشخصه و ذاته وشعوره بالكمال العقلي دون سواه كانت كل هذه العوامل وراء ادعائه النبوة، فقد كان أمله فوق نفسه، ونفسه فوق متناول الآمال، ولعل ذلك يرجع إلى إحساسه بخمول أصله، وركود حسبه، ووهن نسبه، حتى عُيّر بأبيه في حرفته، وغمز في عرضه وأسرته».

من كل ما سبق: «غلب على أبي الطيب في صباه إحدى نزعاته النفسية الكثيرة المتقلبة و الراغبة في الكمال الذي يتصوره لشخصه دون مبالاة أو اهتمام بغيره حتى ولو كان ذلك الغير هو الدين أو الرسل... فلم يكن متصوراً بذلك إلا رفعة لمكانته وبلوغاً وفوقاً بها عن كل نظير بل على كل سلطان، وليس هناك ما يستحق التبرير وقد صادف تسمية المتنبي هوى في نفسه ورواجاً يتناسب مع عظمته وإحساسه بارتقائه وسمو نفسه عمن سواه، فتمكنت كل الجوانب الشخصية منه وتملكت إحساساته النفسية كل مدائحه ووقفت على قدم وساق تشارك الممدوح عظمته وتشاركه ثقته وطموحه ورفعته وما ذلك على مثل شاعرنا بعد ادعائه النبوة بكثير».

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (٤)

مدائح المتنبي تمثل ذاته وطموحاته وطلعاته

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

إذا ما ترقينا درج فكر المتنبي وجدناه على دراية كافية بمعاملة الملوك والأمراء، عارفاً بدخائلهم وخفاياهم فزخرت حياته بآمال وأحلام وخواطر وأوهام وطموحات ومخاطرات كانت كلها تلازم فكره ولا تبتعد عن مخيلته، ولا غرابة في هذا على صبي عاش شظف العيش، ودق الفقر في نحره، فقد عاش في صحبة سقاء يتنقل بين البوادي والحواضر، عوامل جعلته يحرص على أن يخلع من عظمته خلوده ومن خلوده على ممدوحيه فمدح الخلفاء و الأمراء وحرص الجميع على أن تخلد ذكراهم في أشعار المتنبي التي ما زالت وستظل قمة الأدب العربي.

❖ **أبو الطيب المتنبي يلتقي بأبي العشائر:**

وأبو العشائر هو: الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي الأمير العربي.

الذي حرص المتنبي أَن يجنح إليه و أَنس به رغبة منه في التمسك بأهداب الأَمل المنشود، فلقد جاء إليه من دمشق على فراش مفعمة بالمودة والحب حتى ارتفعت حرارتها فلم يعد قادراً على المبيت عليها فآثر السهر حتى الوصول إليه، بل إنه رفعه إلى أعلى المراتب وأرفع الأمكنة التي تحاكي مرتبة الملوك، لأنه يبصر ما في قلوب الناس، ولقد كان المتنبي يخشى من الشائنين والكائدين له فتجهز بسلاح الكلمة في درر القول و عظيم الثناء عليه حيث يقول لأبي العشائر:

مبيتي من دمشق على فراش ... حشاه لي بحر حشاي حاشي
لقى ليل كعين الظبي .. لوناً ... وهم كالحميا في المشاشي
وشوق كالتوقد في فؤاد ... كجمر في جوانح كالمحاشي

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يقول:

فإن الفارس المنعوت خفت ... لمنصله الفوارس .. كالرياشي
فقد أضحى أبا الغمرات يكنى ... كأن أبا العشائر غَيُر.. فَاشِ
وَقَدْ نُسى الحسين بِمَا يُسَمى ... رَدى الأبْطَالِ أو غَيْثَ العِطَاشِى

ثم يقول فيه المتنبي:

فيا بَحْرَ البُحورِ ولا أُواري ... ويَا مَلِك المُلوكِ ولا أحُاشِ
كأنكَ ناظِرٌ في كُلِ قَلْبٍ ... فَمَا يُخفى عَلَيكَ مَحَل غَاشِ
أأصبرِ عَنْك لَمْ تَبْخَل بشيءٍ ... ولم تَقبل عليّ كَلامُ واشِ
وكيف وأنْتَ في الرؤساءِ عِنْدي ... عشِيق الطيْرَ مَا بَيْن الخِشاشِ
فما خَاشِيَكَ للتكذيب راج ... وَلا رَاجِيكَ للتخيّيبِ خَاشِ
تُطَاعِنُ كلُ خَيْلٍ كُنْتَ فَيها ... ولَو كَانُوا النبيطَ على الجحاش (١)
أرى الناسَ الظلام وأنت نورٌ ... وإني مِنْهُمُ لا إليكَ عاشِ

ثم يأتي المتنبي ليفصح لأبي العشائر عن مكنون نفسه وما يهدف إليه إنه لا يطمح إلا إلى المعالي وكيف لا إنه يعرف من أين تؤكل الكتف؟... إنه يعرف أن الرجل هو الطريق إلى سيف الدولة الحمداني فيقول:

فَسِرْتُ إليكَ فِي طَلَبِ المعَالي ... وسَارَ سِوَاي فِي طَلَبَ المعَاشِ

وذات مرة دخل المتنبي على أبي العشائر وعند رجل ينشده شعراً في بركة داره فقال المتنبي مضيعاً الفرصة على الرجل بقوله:

لَئِن كَان أحْسَن في وَصْفِها ... لقد فَاتَه الحُسْنُ فِي الوَصْفِ لك
لأنك بَحْرٌ وأن البحَارَ ... لتأنَف مِنْ حَالِ هذي البركْ
كأنك سَيُف لاَ مَا مَلكت ... يَبْقَى لَدَيْكَ ولاَ يبقى لَكَ

(١) النبيط: قومٌ بسواد العراق حراثون.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فأكثرِ مِنْ جَريِها ما وَهَبَت وأكثَر مِنْ مَائِها مَا سَفَك
أسأتَ وأحْسَنَت عَنْ قُدرةٍ ودُرْتَ عَلَى النَاس دَور الفَلَك

وأزمع أبو العشائر السفر.. وجاءه المودعون فقال المتنبي في وداعه:

الناسُ ما لم يروكَ أَشباه والدهرُ لفظٌ وأنتَ معناهُ
والجودُ عينٌ وأنتَ ناظرُها والبَأسُ باع وأَنت.. يمناهُ
أفدي الذي كلُ مأزقٍ حَرِجٍ أغبرَ فرسانُه... تحاماهُ
أَعلى قناة الحسينِ أَوسطها فيه وأعلى الكمى.... رجلاهُ
تنشدُ أثوابنا مدائحه بألسنٍ مالهُن.... أفواهُ
إذا مَررنا على الأَصم بها أَغنته عَنْ مَسْمَعَيْه عَيْنَاهُ
سُبحَانَ مَنْ خَارَ للكواكب بالـ بعد ولو نُلنَ كن.. جدواهُ
ولو كانَ ضوءُ الشموسِ فِي يَده لصَاعَه جُوده... وأفناه
يا رَاحِلاً كُلُ مَنْ يُدعِه مُوَدِّعٌ دينَه ودنياهُ
إن كان فِيمَن نَرَاه من كرمٍ فيكَ المزيدُ فزادكَ اللهُ

وذات مرة أخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً أَراه إياه في ميا فارقين فقال المتنبي مرتجلاً:

به و بمثله شُق الصفوفُ وزالت عن مَبَاشِرها الحُتُوفُ
فَدَعُه لقَى فإنكَ مِنْ كِرَامٍ جَوَاشِنُها الأَسِنَةُ والسيوفُ

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (٥)

المتنبي في رحاب سيف الدولة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **كوكبة من نوابغ الفكر و العلم و الأدب في بلاط سيف الدولة:**

لم يكن سيف الدولة الحمداني أميراً فحسب بل كان شاعراً وأديباً أحب الشعراء وأغدق عليهم الكثير من الهبات والعطايا حتى وصل الحال بابن نباته السعدي وهو من بين شعرائه أن يضيق بكرم الأمير فقال [1]:

قد جُدْتَ لِي باللُهَا حَتَى ضَجَرتُ بها ... وكدتُ من ضجري أُثني على البخلِ

أن كُنْتَ تَرْغَب في بَذَل النوال لنا ... فاخْلق لَنَا رَغْبَة أولا فلا تُنلِ

لَم يْبَق جُودُك لي شَيئا أُؤمله ... تركتني أصحب الدنيا بلا أَملِ

فلا غرابة في أن يصحب الأمير الفارس والشاعر المغوار والأدباء والبلغاء والشعراء والخطباء ليسجلوا له التاريخ من خلال الانتصارات التي كان يحرزها.

لذا فقد ضم بلاط سيف الدولة الحمداني الكثير من أبرع الأدباء والشعراء وكانوا يتسابقون جميعًا في مدح سيف الدولة فكان [2] (من حلب الصنوبري، الخليع الشامي، ومن منطقة الموصل السري الرفاء، وأبو بكر الخالدي وأخوه أبو عثمان، والبيغاء وابن جني، ومن أصقاع الشام كشاجم، والوأواء الدمشقي، والتلعفري وأبناء كيغلغ وأبناء ورقاء النامي، وأبو الفرج العجلي، وأبو الفتح البكثمري، ومن العراق الزاهي، والناشي الأصفر، وابن نباته السعدي والحاتمي) وغير ذلك الكثير من أدباء الأقاليم وعلمائهم مثل (ابن خالويه، وأبي علي الفارسي، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، وأبو بكر الخوارزمي)..

---

(١) سيف الدول الحمداني أو مملكة السيف والقلم، الدكتور مصطفى الشكعة.

(٢) نفس المرجع.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وليس هناك شك أن تلك الشخصية الفريدة لسيف الدولة هي التي جمعت كل هذه النخبة من صفوة رجال الفكر والأدب «جمع بلاط سيف الدولة [1] هذا الجمع الضخم من هذه الكوكبة اللامعة وكان جمعيهم ينتمي إلى مهن وحرف مختلفة قبل أن يلتحقوا بسيف الدولة ليكونوا من رجاله».

" وقد حفلت ندوة سيف الدولة الحمداني بألوان من المودة حينًا وصورًا من المشاحنات أحيانًا أخرى ومن علاقات المودة ما كان يدور بين أبي فراس الحمداني من ناحية وبين القاضي أبي الحصين أو أبناء ورقاء من ناحية أخرى وكانت تتخذ طابعًا من شعر المساجلات الرائق الجميل.

ومن المشاحنات الطريفة ما كان يجري بين السري الرفاء وبين الخالديين أو بينه وبين النامي الشاعر حيث كان يعتقد أنهم يسرقون شعره وينسبونه إلى أنفسهم فكان يشكوهما إلى أبي البركات بن ناصر الدولة فيقول:

أشكو إليكَ حَلِيفي غَارةً شَهْرا ... سَيْفَ الشِقَاق عَلَى ديبَاجِ أفْكَارِي

ذئبيْن لَوْ ظَفِرا بالشعرِ فِي حَرَمِ ... لمزقاه بأنيابٍ وأظفاري

سلأ معليه سيوف البغي مصلته ... في جَحْفَلٍ من جَحِيم الظُلْمِ.. جَرَّارِ

ظل أبو الطيب المتنبي بجانب أبي العشائر في أنطاكية مادحًا إياه وفي نفسه هدف آخر هو البقاء في رحاب سيف الدولة الحمداني الذي قدم إلى أنطاكية في جمادى الأولى عام ٣٣٧هـ وانتقل معه المتنبي إلى حلب.

ولقد تجلت جوانب العظمة في نفس المتنبي حينما أصبح إلى جواره فلقد حرص على الاعتداد بنفسه مقدراً لذاته فوق كل نظير فما إن طلب منه سيف الدولة الحمداني أن يكون شاعره بعد أن قدمه له أبو العشائر حتى وضع شرطة الأول لهذا اللقاء وهو ألا ينشد شعره واقفاً كباقي الشعراء وألا يُقبّل الأرض بين

---

(١) نفس المرجع السابق الدكتور مصطفى الشكعة.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يديه كباقي النظراء، ولم يجد سيف الدولة في ذلك غضاضة ولم لا ؟ وهو الذي يريد أن يخلد ذكره في شعر المتنبي «ولقد رأى المتنبي في سيف الدولة الخدن والصاحب والصديق بما خلد اسمه أبد الدهر «وشاركه في فتوحاته ورافقه في معاركه فتعلم منه الفروسية وأصبح لا يقل مهارة عن الأمير.

ولقد أهدى الأمير سيف الدولة الحمداني ثياب ديباج ورمحًا وفرسًا معها لأبي الطيب المتنبي فقال في ذلك:

ثيابٌ كَريم مَا يَصُون حِسَانُها ... إذا نشرت كان الهِبَاتُ صِوَانُها

تُرينا صِنَاعُ الرومِ فِيهَا مُلُوكُهاَ ... وتجلو عَلَيْناَ نَفْسُها وقِيَانُهَا

ولم يكفها تَصْوِيرَها الخيلَ وَحْدَها ... فَصوَرتِ الأشيَاءَ إلا زَمَانُها

إلى أن يقول له ونظن أنه يفصح عن مكنون ذاته بقوله:

ومَالي ثَناءٌ لا أراكَ مَكانه ... فهل لك نُعمى لا تراني مكانها

ولقد كان سيف الدولة سخيًا كريمًا مع أبي الطيب، ولولا هذا السخاء لكان للمتنبي شأن آخر معه، ولكنه اكتفى بتلك المكانة التي نالها في جواره فارتفعت منزلته عمن سواه.

❖ **أبو الطيب المتنبي ومعركة ثغر الحدث:**

عندما انتصر سيف الدولة الحمداني على الروم في معركة ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئَة من الهجرة مدحه أبو الطيب المتنبي بتلك القصيدة العصماء التي ما زالت أصداؤها تتردد في كل الأجواء والمنتديات الأدبية حتى يومنا هذا.

ولقد أعجب سيف الدولة الحمداني بها أيما اعجاب وكان يردد أبياتها بين الحين والآخر والتي يقول فيها المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائمُ ... وتأتي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المكَارمُ

وَتَعْظم في عَيْنِ الصَغِير صِغَارها ... وتصغرَ في عَيْنِ العَظِيم العظائمُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يُكَلِف سَيفُ الدولة الجيش هَمُه ... وتَعَلم أي الساقيين الغَمَائِمُ
ويطلب عند الناسِ مَا عِنْد نفسه ... فلما دنا منها سَقَتها.. الجماجمُ
يُفدي أَتمُ الطير عُمْرًا سَلاحَه ... وَمَوْج المنَايَا حَوْلَها متلاطمُ
وما ضرَهَا خَلقٌ بِغَيْر مَخالِب ... ومن جثث القتلى عليها.. نمائمُ
هل الحدثِ الحمراء تَعْرف لوْنُها ... وَقَد عَجِزتَ عَنْهُ الجيوشُ الخَضَارمُ
سَقَتْها الغَمَامُ الغرُ قبل نزوله ... وذلك مالا تَدَعِيه الضَرَاغِمُ
بَنَاها فأعلى والقَنا يَقْرَع القنا ... نُسُور الفَلا أَحَداثُها والقَشَاعِمُ
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... وقد خَلقَت أسيَافَه والعَوائمُ

إلى أن يصل إلى قوله:

أتَوْكَ يجرون الحديدَ كأنما ... سَروا بجَيَادٍ مَا لَهُن قَوَائِمُ
إذَا بَرقُوا لَمْ تَعرِف البيضُ منَهمُ ... ثيابهمُ من مثلها والعَمَائمُ
خَمِيس بِشَرْق الأرضِ والغرب زَحْفه ... وفي أذنِ الجَوْزَاء مِنْه زَمَازمُ
تَجمَع فيه كُلَ لُسْنٍ وأُمه ... فما تُفهم الحداث إلا التراجمُ
ولله وقتٌ ذوّبَ الغش ناره ... فلم يبق إلا صارم أو ضُبارمُ[1]
تقطع مالا يقطع الدرع والقنا ... وفرّ من الفرسانِ مالا يُصَادمُ

فلقد حفلت هذه القصيدة بالمعاني وصور الفروسية التي صورها أبو الطيب كأبدع ما يكون الوصف حتى أنه دافع عنها في حضرة سيف الدولة الحمداني عندما انتقد هذين البيتين:

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائمُ
تَمُر بِكَ الأبطال كَلْمَى.. هَزِيمَة ... ووجهك وضّاحٌ وثَغْرُك باسمُ

---

(١) الضارم تعني الشجاع: أي أن نار الحرب ذوبت كل ما كان لأخير فيه من رجال وسلاح فلم يبق إلا السيف القاطع والرجل الشجاع.

www.liilas.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

قال الأمير لأبي الطيب المتنبي:

لقد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرئ القيس قوله:

كأني لَمْ أركَب جَوَادًا وَلَمْ أقُل ... لخَيْلي كُري كَرَةً بَعْدَ إجفَالِ

ولم أَبلغ الشَرف الردىّ للذةٍ ... ولمَ أتبطن كاعبًا ذَاتَ خُلْخَالِ

فقد كان يجب عليك أن تقول:

وَقَفْتَ ومَا فِي المَوْتِ شَكٌ لِواقِفٍ ... وَوَجْهُك وضّاحٌ وثَغْرُكَ بَاسمُ

تَمُر بِكَ الأبْطَالُ كَلْمى.. هَزِيمَة ... كأنَك في جَفنِ الردَى وَهُو نَائمُ

فقال المتنبي:

" أيد الله مولانا، إن صح أن الذي استدرك على أمرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه فقد أخطأ أمرئ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعرف:

أن الثوبَ لا يعرفه البزاز معرفة الحائكَ - لأن البزاز لا يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية، وإنما قرن أمرئ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراب الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكرى الردى وهو الموت ليجانسه، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو أن يكون عبوسًا، وعينه من أن تكون باكية، قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لأن جميع الأضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها وهنا اقتنع الأمير الأديب بوجهة نظر شاعره وأعجب بقوله ووصله بخمسين دينارًا». (١)

ثم يرفع المتنبي سيف الدولة الحمداني إلى أعلى الغايات حينما يقول في فروسيته:

---

(١) سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام الدكتور مصطفى الشكعة.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تَجاوَزْتَ مِقْدَار الشَجاعة والنُهَى ... إلى قَوْل قَوْم أنْتَ بالغَيْبِ عالمُ
ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهم عَلى القَلْبِ ضَمَةً ... تَمُوت الخوافيّ تَحْتَها والقوادمُ
بِضَرْب أتَي الهَمَات والنصر غَائب ... وصَارَ إلى اللبات والنَصْرُ قَادمُ
حقرت الردينيات حَتَى طَرَحْتها ... وَحَتى كأن الموتَ للرمْحِ شَاتِمُ

ثم يصل المتنبي إلى ذروة مديحه لسيف الدولة بأسلوبه المعهود والذي يميزه عن غيره من النظراء والأتراب بقوله:

ومن طلب الفتح الجليل فإنما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الأحيدب نثرة ... كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى ... وقد كثرت حول الوكور المطاعم

ولأن سيف الأمير ليس في غمده ولا منجى للعدو منه يقول أبو الطيب المتنبي:

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً ... ولا فيه مُرْتَابٌ ولا منه عاصمُ
هنيئًا لضَرَب الهَامِ والمجدَ والعُلى ... ورَجِيك والإسلامُ أنَك سَالمُ
ولم لا يقي الرحمن جيدك ما وفى ... وتفليقُه هام العدى بك دائمُ

❖ عتاب المتنبي لسيف الدولة الحمداني:

لقد كانت هذه الحظوة أدعى لأن تقلب عليه الحساد فانهمرت عليه المكائد من كل صوب تقبل منها سيف الدولة الكثير وأعرض المتنبي عن كثير، حتى ازدادت الحياة سوءً بينهما فعاتبه المتنبي بهذه القصيدة التي تكون أقرب إلى الهجاء منها إلى المدح فقال:

واحرّ قلباه ممن قلبه شبمُ ... وَمَن بجسْمِي وَحَالي عِنْدَه سَقَمُ
مالي أكتمُ حبًا قد برى جَسدي ... وتدعي حُبّ سيف الدولة الأممُ
إن كان يَجْمَعُنا حُبٌ لغرته ... فَلَيْت أنا بقَدْر الحُب نَقْتَسمُ
قَد زُرْتَه وسَيُوف الهندِ مُغمَدةٌ ... وقَد نظرتُ إليه والسيُوف دمُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فكان أحسن خَلْقِ الله كُلِهم ... وكان أحسن ما في الأحْسَنِ الشيمُ
فوتُ العدوِ الذي يممته ظفرٌ ... في طيه أسَفٌ في طيه نِعَمُ
قد نابَ عنك شديد الخوف واصطنعت ... لك المهابةُ ما لا تصنع البهمُ
ألزمت نفسك شيئًا ليس يلزمها ... أن لا يواريهُم أرضٌ ولا عَلَمُ
أكلما رمتَ جيشًا فانثنى هربًا ... تصرفت بك في آثاره الهممُ
عليك هَزْمهمُ في كل.. معترك ... وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
أما ترى ظفرًا حلوًا سوى ظفرٍ ... تصافحت فيه بيض الهند.. واللممُ

وبعد عاصفة المديح العارمة القوية المنسابة في معانيه يصب المتنبي جام غضبه على سيف الدولة الذي أصغى لتلك الوشايات فقال المتنبي:

يا أعدلَ الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ

ومن ثم فقد اغتاظ سيف الدولة من المتنبي وقد تعمد ألا يرضيه فأوغر ذلك قلب المتنبي عليه حتى زاد الأمر تعقيدًا بينهما فقال المتنبي:

أُعيذها نَظَرَاتٍ مِنْك صَادقة ... أن تحسبَ الشحمَ فيمن شَحْمُه وَرَمُ
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظرة ... إذ استوت عنده الأنْوارُ والظلمُ

ثم يعود المتنبي الشاعر الفذ المعتز بشخصيته الواثق من نفسه ومن شاعريته إلى الفخر بنفسه ومكانته الأدبية والشعرية التي لا تضارعها مكانة بين الشعراء فيقول:

سَيَعْلم الجَمْعُ مِمَن ضَمّ مَجْلسُنا ... بأنني خيرُ من تسْعى به قدمُ
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسْمَعت كَلِمَاتي مَنْ بِه صَمَمُ
أنام مِلءَ جفوني عن شواردها ... ويسهرُ الخلقُ جراها ويختصمُ
وجاهلُ مده في جهله ضحكي ... حتى أتته يدٌ فراسةٌ وفمُ
إذا رأيت نيوبَ الليث بارزة ... فلا تظنّن أن الليث يبتسمُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يعود المتنبي ليمدح جرأته وإقدامه وشجاعته وتوقده وقوته ورباطة جأشه فيقول:

وَمُهْجَتي مُهْجَةٍ من هَمٍّ صاحبها ... أدركتها بجوادٍ ظهره حَرَمُ
رجلاه في الركضِ رِجْل واليدان يدٌ ... وفعله ما تريد الكف والقدمُ
ومرهفٍ سرتُ بين الجحفلين به ... حتى ضربتُ وموج الموت يلتطمُ

إلى أن يصل إلى ذروة الفخر بنفسه والعلو بمكانته حيث استولى عليه الشعور بالكبرياء فالخيل تعرفه ساعة القتال والليل يعرفه خواضًا مغامرًا والسيف خدنه في المعارك ثم موهبته التي تؤَاذره وانطلاقة القرطاس والقلم.

فيقول:

الخيل والليل والبيداءُ تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ
صَحِبْتُ في الفَلَوَاتِ الوَحْشَ مُنْفَرِدًا ... حتى تعجبَ مِني القورُ.. والأَكمُ

ثم يعود المتنبي مرة أخرى في محاولة منه لاستمالة قلب سيف الدولة من جديد مازجًا بين الحنين والمودة فيقول:

يا من يَعِزُ علينا أن نفارقهم ... وُجْدَاننا كُلّ شَيءٍ بَعْدَكُم عَدَمُ
ما كان أخْلَفنا مِنْكم.. بتكرمةٍ ... لو أن أمركُم من أَمْرِنا..أممُ

ثم يزيد في العتاب بقوله:

إن كان سَرَكُم ما قال حاسدنا ... فما لجرحٍ إذا أرضاكُم ألمُ
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ... إن المعارف في أهل النهي ذممُ

ثم يتراجع المتنبي مرة أخرى مخاطبًا سيف الدولة بأنه لو بحث له عن عيب واحد فلن يجد شيئًا فإن الله يأبى ثم كرم سيف الدولة فيقول:

كَمْ تطلُبُون لنَا عَيْبًا فيعْجِزَكم ... ويكره الله ما تأتون والكرمُ
ما أبعد العيبَ والنقصان من شرفي ... أنا الثريا وذانِ الشيبُ والهرمُ
ليتَ الغَمَام الذي عِنْدي صَوَاعقَه ... يُزِيلَهُنَ إلى من عنده الديمُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يعاود المتنبي الحديث مرةً أخرى عن الرحيل عن الديار بأسلوبه المعهود الذي ينضح بالألم والكبرياء فيقول:

أرى النوى يقتضيني كل مَرْحلَةٍ لا تستقلُ بها الوخادةُ الرسمُ

وربما يندم الأمير لذلك الفراق ويحاول المتنبي أن يلفت انتباهه إلى ذلك فيقول:

لئن تركت ضميرًا عن مَيامِنَنَا ليَحْدُثَن إلى مَنْ فَارقَتْهَم ندمُ

ثم يضع المتنبي أمام سيف الدولة رؤيته الفلسفية عن هذا الرحيل بقوله:

إذا ترحلت عن قومٍ وقد قَدَروا ألا تُفَارِقَهُم فالرّاحِلون همُ

شَرُ البلادِ مَكَان لاَ صَديقَ.. به وشَرُ ما يكْسبُ الإنسانُ مَا يصِمُ

وشرُ ما قَنَصَتْه راحَتي قَنْصٌ شُهْبُ البزاةِ سَوَاءٌ فيهِ والرُخمُ

وها هو المتنبي يعز عليه بوصفه الشاعر الفذ الذي تطأ لبنانه روائع الكلمات والمعاني أن يرى من يتقولُ الشعر وقد احتل مكانته فيقول:

بأي لفظٍ تَقُولُ الشعر زِعْنِفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَك لاَ عُرْبٌ ولا عجمُ

ثم يعاود العتاب تاركً الحسرات في نفس الأمير سيف الدولة الحمداني بقوله:

هذا عتابك إلا أنه مِقَةٌ قد ضمن الدرَ إلا أنه كلمُ

ومما يذكر حول هذه القصيدة أن المتنبي الذي لم يعبأ بذلك واستمر في قصيدته حتى دفع الأمير إلى قذفه بمحبرة في وجهه.(١)

وبعد أن أنشد أبو الطيب المتنبي هذه القصيدة انصرف وترك المجلس في اضطراب حتى انبرى أبو الفرج السامري وكان نبطيٌ من كبراء كتاب سيف الدولة بقوله:

---

(١) سيف الدولة الحمداني أو دولة السيف والقلم الدكتور / مصطفى الشكعة.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

دعني أسعى في ذم المتغطرس (يقصد المتنبي) فرخص له سيف الدولة بذلك.

❖ **المتنبي يهجو السامري:**

عندما أحس المتنبي بأن السامري يريد هجاءَه وهيهات لنملة أن تناطح صخرة وهيهات لقزم أن يطاول عملاقًا فكان المتنبي أسرع منه قولاً وأحد منه بديهة حينما قال:

أسامريُ ضحكة كان راءِ ... فطنت وكنتَ أغبى الأغبياءِ

صَغَرتَ عَنِ المديح فَقُلت أُهجي ... كأنك ما صَغَرتَ عن الهجاء

وما فَكَرتُ قَبْلَكَ فِي مُحالٍ ... ولا جربتُ سَيْفي فِي هَبَاءِ

هذا هو المتنبي النادر الذكاء الفذ العبقرية المبدع الأسلوب الساحر الكلمة المتألق المعاني الذي قال:

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله ... إذا القولُ قبلَ القائلين مقولُ

وفي كل يوم تحت ضبني شُويعرٌ ... ضعيف يقاويني قصيرٌ يطاولُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (٦)

المتنبي و كافور

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **حقد الشعراء عليه والطريق إلى كافور:**

ترى هل يحظى هذا الشاعر بحب الأتراب والنظراء؟

لقد فتح المتنبي نار الحقد عليه من أوسع أبوابها فحسد نظراؤه مكانته وقد ساعدهم المتنبي على ذلك حينما بخل بعدد قصائده بحيث لا تزيد على خمس قصائد في العام، ومن ثم فقد نجح الكارهون والحاقدون له أن يوغروا صدر الأمير سيف الدولة عليه حتى تم لهم ما أرادوا فخرج المتنبي من تلك البلاد ولم يفكر في العودة إليها.

وقد أوضح الدكتور (حلمي حسن) في دراسته عن المتنبي بأن كافور (العبد الخصي) ربما قد هيأ للمتنبي الطريق إليه على ما يبدو، وذلك من خلال رسائل الدهاء فمهدوا الدرب أمامه لكي يذهب إلى مصر حيث يعتلي هذا الخصي عرشها، وربما أطمعه كافور من خلال جواسيسه بالولاية التي كان يطمح إليها المتنبي حاكمًا يتقيد الناس بأوامره ويسير البشر خلف ركابه، وقد عزف كافور على وتر حساس عند المتنبي لاسيما وأن المتنبي كان يعرف كيف اعتلى هذا الخصي عرش البلاد وكان لا يساوي بضعة دنانير في أسواق الرقيق عندما كان سلعة في يد النخاس.

❖ **من هو كافور الذي استبدله المتنبي بسيف الدولة الحمداني:**

«إنه عبد حبشي أعلم مشقوق الشفة، اشتراه محمد الأخشيد من بائع زيت بثمانية عشر دينارًا!!! ثم أعتقه ورقاه حتى جعله من كبار القواد عندما تفرس فيه علامات الحزم والعقل وحسن التدبير والاخلاص في الخدمة.

ويعد كافور أول السلاطين المسلمين الذين ارتفعوا من الحضيض إلى القمة، فقد كان شجاعًا وداهية، وحازمًا حتى استطاع بذكائه أن ينتقل من عبد إلى قائد منتصر إلى وصيٍ إلى متمسك بالعرش إلى مناهض للعباسيين والفاطميين.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ولقد برز اسم كافور منذ أوائل سنة ٣٣٠ هـ حينما قاد جيش سيده وانتصر على نائب بن رائق وقد استولى على جلق قبل قدوم سيف الدولة إليها بعدة سنوات». (١)

«لقد استطاع كافور أن يحكم مصر لمدة اثنين وعشرين عامًا كما استطاع أن يوقف زحف الفاطميين إلى ما بعد وفاته».

كان كافور يهتم بالأدب ويشجع الشعراء ويقربهم له ويقدم لهم الهبات والعطايا، وكان دينًا متواضعًا، كريمًا، قريبًا من الشكاوى، ومن ثم فإنه لا يمكن لنا أن نتهاون بذكاء كافور والمتنبي نفسه يعترف بذكائه ودهائه حيث يقول: كنت إذا دخلت على كافور أنشده.. يضحك إليّ ويبش في وجهي حتى أنشدته هذين البيتين:

ولما صارَ وُد الناسِ خِبّاً ... جزيت على ابْتِسَام بابتسامِ

وَصَرتُ أشكُ فِيْمَن أصْطَفِيه ... لعِلْمي أنَه بَعْضُ الأَنام

فما ضحك بعدها في وجهي إلى أن تفرقنا، فعجبت من فطنته وذكائه وقد كتب على قبره». (٢)

ما بالُ قبري يا كافور منفرداً ... بالصحصح المرثِ بعد العسكر اللجبِ

يدوسُ آحادُ الرجالِ وقد ... كانت أسود الشرى في الكتبِ

❖ **في رحاب كافور:**

انتقل أبو الطيب المتنبي إلى مصر فأخلى له كافور دارًا وخلع عليه، وحمل إليه آلافًا من الدراهم فقال المتنبي مادحًا له:

---

(١) المتنبي ماليء الدنيا وشاغل الناس د/ محمد التونجي (دار الكتب ص ١١٦-١١٧).

(٢) نفس المرجع السابق الدكتور / محمد التونجي.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كَفَى بِكَ دَاءً أنْ تَرى الموتَ شافيًا وَحَسْبُ المنايَا أن يَكُن أمانِيَا

ثم يستمر في مديحه مذكرًا إياه (أي كافور) بأن سيف الدولة كان غدارًا فكن أنت يا كافور وفيًا لوعدك بقوله:

حبَبْتُك قَلْبي قبل حُبك من نآى وقد كان غَدّار فكُنْ أنْتَ وافِيَا

ثم يبالغ في وصف كافور بقوله:

ولكن بالفسطاط بحرًا أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

ثم يصل بممدوحه إلى أعلى المراتب فيقول:

أبا المسك ذا الوجه الذي كنتَ تائقًا إليه وذا اليوم الذي كنت راجيا

أبا كل طيب لا أبا المسك.. وحده وكل سِحَابٍ لا أخُصُ الغواديا

يدلُ بِمَعنى واحدٍ كُل.. فَاخِرٍ وَقَد جَمَع الرحمنُ فِيكَ المعَانيا

ثم يتحسس المتنبي موضع خطوه، ويحاول النفاذ إلى ما يريد من ذلك الخصي فيقول:

إذا كسب الناس المعالي بالندى فإنك تعطى في نداك المعاليا

وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع مِلكًا للعراقيين واليا

فَقَد تَهِبُ الجَيْشَ الذي جَاء غازيًا لسائلك الفَرْد الذَي جَاء عافيا

وتَحْتقَر الدنيا إحتِقَار مُجَربٍ يرى كُل مَا فيهَا وحَاشَاك فَانيا

ومَا كُنْتَ مِمن أدْرَكَ الملكُ بالمنى ولكن بأيام أشبنَ النواصيا

عداك نَرَاهَا في البلاد مَسَاعِيًا وأنت تَراهَا في البلاد مَرَاقيا

لَبسْتَ لها كدر العجاج كأنما تَرَى غَير صَافٍ أنْ تَرى الجوَ صَافيا

وَقُدتَ إليها كل أجرد سَابِحٍ يؤديك غضبانًا ويُثْنيك راضيا

ومختَرطِ ماضٍ يعطيك آمرًا ويَعْصِي إذا استثنيت أو صِرْت ناهيا

وهكذا نجد المتنبي يدور في أبياته باحثًا عن شيء يأمله إنها الولاية التي كانت يطمح إليها، وذلك لأن كافور كما كان يظنه المتنبي مجرب للحياة، عرف

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الدنيا حق المعرفة، وعلم أنها فانية فآثر احتقارها على تخليدها، ولهذا فإنه يهب الدنيا لمن جاء يسأله لأنها فانية وإذا أعطى الكريم شيئًا فانيًا فإنه لن يكترث بذلك العطاء حتى وإن كانت الولاية التي يأملها الشاعر.

وها هو المتنبي يعود في قصيدة أخرى حينما شيّد كافور قصرًا وطلب من المتنبي أن يذكره فقال هذه القصيدة التي جسد فيها أحلامه وطموحاته وتطلعاته إلى المستقبل:

إنما التهنئات للأكفاءِ ... وَلِمنْ يُدْنِى مِنَ البُعَدَاءِ

وأنا منك لا يهنئ عضوٌ ... بالمسرّاتِ سَائرُ الأعضاء

مُسْتَقل لَكَ الدِيارَ وَلَوْ كا ... ن نُجومًا أجر هذا البناء

ولو أن الذي يَخر من الأمـ ... ـواه فيها من فضةٍ بيضاءِ

أنت أعلى محلة أن تُهنا ... بمكان في الأرض أو في السماء

ولك الناس والبلاد وما يـ ... ـسرح بين الغبراءِ والخضراء

ويمضي المتنبي في مدح كافور مغيرًا ملامح الواقع في ذلك الأسود الخصي، مجسدًا فيها مكانة كافور وكفاءَته ومقدرته، ولقد عبر شاعرنا عن رغبته التي قطع المفاوز من أجلها وقد أفنت خيله وزاده وماءه بقوله:

ولقد أفنت المفاوز خَيْلي ... قَبَل أنْ نَلْتَقي وَزَادي وَمائي

فَارمِ بِي حَيْثُ شِئتَ فإني ... أُسد القلبِ آدمي الرواءِ

ولقد ظل يتمنى ويلح في الرجاء وكافور يماطل بدهائه ملقيًا إياه بباقات الأماني الخادعة، ثم يحاول المتنبي أن يرسم أمام كافور بعض صفاته لعله يرضى عنه فيقول:

وفؤادي من الملوك وإن كا ... ن لساني من الشعراء

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **قصيدة جديدة في مدح كافور:**

لم ييأس أبو الطيب المتنبي ولم يفقده كافور أهداب الأمل التي تعلق بها وها هو المتنبي يتحدث عن أمجاد كافور منوهًا في ثنايا القصيدة بعقليته وحكمته إذ أُسند إليه أمر عظيم فيقول:

من الجآزر في زي الأعاريب ... حُمر الحلى والمطايا والجلابيب

إن كنت تسأل شكًا في معارفها ... فمن بلاك بتسهيدٍ وتعذيب؟

ثم يقول المتنبي مادحًا كافور وسعة ملكه ورحابة مملكته وقوة سلطانه على جميع البلاد محاولاً أن يهمس إليه بطريقة أو بأخرى بأنه إذا أنعم عليه بالولاية فسوف يكون طوع بنانه ورهن إشارته فيقول:

يُدَبرُ الملكَ مِنْ مِصْر إلى عَدنٍ ... إلى العراقِ فأرض الروم فالنُوبِ

إذا أتتها الرياحُ النُكب من بلدٍ ... فما تهب بها إلا بِتَرْتِيبِ

ولا تجاوزها شَمْسٌ إذا شَرَقَتْ ... إلا وَمِنه لهَا إذنٌ بِتَغْرِيبِ

يصرف الأمر فيها طين خاتمه ... ولو تطلس منه كل مكتوبِ(١)

يَحُطُ كُل طَوِيلِ الرُمْحِ حَامِلِه ... من سرج كل طويل الباع يعبوبِ

كأن كل سؤال في مسامعه ... قميص يُوسُفَ فِي أجْفَانِ يعقوبِ

إذا غزته أعاديه بمسألة ... فقد غزته بجيش غير مغلوبِ

إلى أن يلمح مرة أخرى إلى مأربه وهدفه الذي ترك سيف الدولة الحمداني من أجله فيقول:

قالوا هجرت الغيثَ قلت لهم ... إلى غيوثِ يَديه والشآبيب

إلى الذي تهب الدولات راحته ... ولا يمن على أثار موهوبِ

ولا يروع بمغدور به أحدٌ ... ولا يفزع موفورًا بمنكوبِ

---

(١) تطلس : انمحى.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يعود مذكرًا إياه تلميحًا لا تصريحًا بقوله:

يا أيها الملك الغاني بتَسْمِيةٍ ... في الشرق والغرب عن وصف وتلقيبِ
أنتَ الحبيبُ ولكني أعوذُ به ... مِنْ أن أكُونَ حَبِيبًا غير مَحْبُوبِ

❖ وقفة المتنبي مع نفسه وحقيقة مشاعره تُجاه كافور:

كان المتنبي إذا ركن إلى نفسه يقارن بين الحقيقة التي هو عليها وبين التمني الذي كان يأتيه من قبل الخصي، فقال وكأنه يعبر عن مكنون نفسه بتلك الصرخة العارمة، التي تحقر المنايا وتهزأ من عواقب التسويف فيقول في إحدى القصائد التي قالها بمصر ولم ينشدها كافور:

صَحِبَ الناسُ قَبْلَنَا ذَا الزمانَا ... وَعَنَاهُمْ مِن شَأنِه مَا عَنَانَا
وَتَولَوا بِغُصَةٍ كُلُهم منـ ... ـه وإنْ سَرّ بَعْضَهُم أحْيَانَا
وَمَا تُحسِنُ الصنَيع ليَاليه ... لكن تُكَدر الاحْسَانَا
وكأنا لم يرضَ فينا بريب الـ ... ـدهر حتى أعَانه من أعانا
كلما أنْبَتَ الزمانُ قناةً ... ركبّ المرءُ في القناةِ سِنَانا
ومراد النفوسُ أصْغَرُ مِنْ أن ... تَتَعادى فيه وأنَ تَتَفَانَى
غير أن الفتَى يُلاَقِي المنَايَا ... كَالحِاتٍ ولا يُلاَقي الهَوَانا
ولو أنّ الحياةَ تَبْقَى لحِي ... لعَدَدنا أضَلَنا.. الشُجْعَانا
وإذا لم يَكُنْ مِنَ الموتِ بُدٌ ... فمن العجزِ أن تَكُونَ جَبَانا
كل ما لم يكن من الصعب في الأنـ ... ـفس سهلٌ فيها إذا هو كانا

إنها نفثه مصدور لسجين يرزح، في قيد وأكاذيب كافور الذي كان يلقى عليه بالأمنيات، حتى يؤكد لنفسه مكانة تاريخية تتذكره بها الأجيال جيلاً تلو الأجيال في أشعار المتنبي الخالدة.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **نعي المتنبي في مجلس سيف الدولة:**

وبينما المتنبي على هذه الحالة النفسية التعيسة التي يلاقي فيها الهوان فقد نمى إلى علمه أن قومًا نعوه في مجلس سيف الدولة الحمداني بحلب، فقال قصيدته التي تفيض بالأسى والحزن ولم ينشدها كافور فلقد كان يرثى بها حاله وما آلت إليه حياته بعدما أصبح في هذا السجن الكافوري الممل الذي لا أهل به ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن، فهو في هذه الحياة وحيد وقد كان يأمل من الزمن استقامة أحواله في الحياة لاسيما وأنه لا يستطيع أن يبلغ هذا بنفسه لأنه لا يستقر على حال فيقول المتنبي من أبياتها:

تفنى عيونهم دمعًا وأنفسهم ... في أثر كل قبيح وجهه حسنُ
تَحمَلوا حَملَتُكم كُل.. نَاجِيَة ... فكل بَيْنٍ عليّ اليومَ مُؤتَمَنُ
ما في هوادِجكُم مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ ... إن مِتُ شوقًا ولا فيها لها ثمنُ
يا من نعيتُ على بُعدٍ.. بمجلسه ... كلٌ بما زعم الناعون مُرْتَهنُ

ثم يصل مرة أخرى إلى طبيعته ونرجسيته فيقول:

كَمْ قَدْ قُتُلْتُ وكَمْ قد مت عِندَكمُ ... ثم انتفضتُ فزالَ القبرُ والكفنُ
قَدْ كَان شَاهِدَ دفَنْي قَبَل قَوْلهُم ... جَمَاعَةَ ثم ماتوا قَبْلَ مَنْ دُفِنُوا
مَا كُل مَأ يَتَمَنى المرءُ يُدْرِكُه ... تَجْرِي الرِيَاحُ بِمَا لا تَشْتَهي السُفنُ
رأيتُكم لا يَصُونُ العِرضَ جَاركم ... ولا يدرُ على مراعاكُم اللَبنُ
جَزَاءُ كُل قَرِيب منكُم مللٌ ... وَحَظُ كُل مُحِبٌ مِنْكُم ضَغنُ
وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رفْدكمُ ... حتى يُعَاقِبه التَنْغِيصُ والمننُ
فَغَادَر الهجرَ مَا بيني وبِيْنَكمُ ... بهماء تكذِبُ فيها العينُ والأُذُنُ[1]

(١) بهماء : الأرض كثيرة المخاوف ولا يتهدى فيها أحد.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يعود المتنبي مرة أخرى إلى أحزانه محاولاً أن يتزين بلباس الأقوياء ولكنه يتأرجح بين هذا السجن الفسيح الذي شيده له كافور بحوائطه المنيعة وأكاذيبه الخادعة فيقول المتنبي:

سَهَرْتُ بَعْد رَحِيلي وَحْشَة لَكُم ... ثم استمَر مَريرِي وارْعَوى الوسنُ
وإن بُلِيتُ بِوُدٍ مِثْل ودكمُ ... فإنني بفراقٍ مِثْلهُ قَمِنُ
أبلَى الأجِلَة مُهْري عِنَد غيركمُ ... وبدل العذر بالفُسْطَاطِ والرَسنِ

ثم يمدح كافور الخصي مرةً أخرى فيقول:

عند الهمام أبي المسك الذي غَرِقت ... في جوده مُضَرُ الحمراء واليمنُ
وإن تأخرَ عَني بَعْضُ مَوْعِده ... فما تأخرُ آمالي ولا تهنُ
هو الوفي ولكني ذَكَرتُ لَه ... مودةً فهو يبْلوُهَا وَيَمتِحَنُ

ونرى هنا أبا الطيب المتنبي يحاول أن يستدر عطف كافور الذي يماطله بوعده ولا يفي به ويحاول أن يجد المتنبي لتلك المماطلة مبرراتها بأن كافور يختبر ويمتحن تماسك المتنبي على ذلك.

وها هو ذا يعود مرة أخرى مخاطبًا كافور فيقول له عندما قام شبيب العقيلي على كافور فقتله كافور بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة الموافق ٩٥٩م.

عَدُوك مَذْمُوم بكل لِسَان ... وَلَو كَانَ مِنْ أعدائِكَ القَمَرَانِ
ولله سِرٌ في عَلاكَ وإنمَا ... كَلامُ العِدَى ضَرْبٌ من الهذيانِ
أتَلْتَمِسُ الأعداءَ بعْد الذي رأت ... قِيَام دليل أوْ وُضُوح بَيَانِ
رأت كُلَ مَنْ يَنوي لكَ الغَدر يبتلي ... بغدر حياة أو بغَدْرِ زَمَانِ
بِرَغمِ شَبِيبٍ فَآرقَ السيفَ كَفهُ ... وكانَا عِلَى العِلاَت يَصْطَحِبَانِ
كأن رَقَابَ الناسِ قَالَتِ لسَيْفِه ... رَفِيقُك قَيْسِيٌ وأنْتَ يَمَانِ
فإن يَكُ إنْسَاناً مَضَى لسَبِيله ... فإن المنايَا غَايَةُ الحَيَوَانِ
ومَا كَان إلا النارِ في كُلِ مَوْضع ... تُثِيرُ غُبَارًا فِي مَكَان دُخَانِ
فنال حياةً يَشْتَهِيهَا عَدُوه ... وموتًا يُشَهِيَ الموتَ كُل جَبَانِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

نَفَى وَقْعَ أطْرافِ الرِمَاحِ برُمحه ولم يَخْشَ وَقْعَ النجمِ والدّبران
ولم يَدْرِ أنَ الموْتَ فَوْق شواتِه معارُ جناح مُحْسِنِ الطيرانِ
وقَد قَتَل الأقران حَتَى قَتَلته بأضْعَف قَرنٍ في أذل مكانِ

ثم يأتي في نهاية القصيدة بعد أن مدح كافور ملمحًا له بتلبية حلمه الذي كان يأمله وهو الولاية لأن كافور جاد بالخير أم لم يجد به فسوف يأتيه ثم يعود إلى المبالغة بتلك المنزلة التي رفع كافور بها بقوله:

لَو الفلَكُ الدوارُ أبغضت سَعيهُ لعوّقَهُ شَيءٌ عِن الدَوَرَانِ

وفي شوال سنة تسع وأربعين وثلاث مئة مدحه ببائية طويلة بعد أن تملكه اليأس وعبث به هاجس الرجاء بعد مطالبة كافور لأبي الطيب بمدحه وكان قد انقطع عن ذلك لفترة طويلة، فَجَادَ المتنبي بهذه القصيدة التي تحمل آخر ما تبقى عنده من رجاء وأمل فخاطب فيها كافور متحدثًا عن طموحاته ورغباته وما يهْفُوا إليه وعن تلك الوعود التي أطلقها كافور في بحار التمني ليلهث المتنبي بأروع ما تجود به قريحة شاعر مثل المتنبي.

وقد مدحه بتلك القصيدة ولم يتقابلا مرة ثانية:

وقد بدأ القصيدة بقوله:

مني كنّ لي أن البياضَ خضابُ فيخفي بتبييض القرون شبابُ
ليالِيَ عند البيض فَوْداى فتنةٌ وفخرٌ وذاكَ الفخرُ عندي عابُ
فكيف أذمُ اليومَ مَا كُنت أشتهي وأدعو بما أشكوه حين أجابُ

ثم يعاود المتنبي الحديث عن نفسه فهو قوي الهمة والشكيمة ذاته لا تضعف رغم أن في الشيب العجز والضعف ولكنهما لا يستطيعان إدراك هذا الأمر فلو كانت الشعرات التي في وجهه قد أصبحت حربًا إلا أن ذاته ستظل حية لا يغيرها شيء حتى ولو تغير جسده كله ثم يعاود المتنبي مرة أخرى

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

السمو بمكانته والبلوغ بها فوق الغايات فهو النجم الذي يكشف الظلمة وهو العارف بالفلوات المستغني عن السفر إلى كل البلدان كما أنه لا يطلب الماء تصبرًا حين يشتد وطيس الشمس وهو ظمآن فيقول:

وإني لنَجم تَهْتِدى صُحْبَتي به ... إذا حَالَ مِن دُونِ النجُوم سِحَابُ
غَنُى عَنِ الأوطان لا يَسْتَخِفني ... إلى بلدٍ سَافَرتُ عَنه إيابُ
وَعَنْ ذِمْلان العيسَ إن سَامَحت به ... وإلا ففي أكْوَارِهن عُقابُ(١)
وأصدي فلا أبدي إلى الماء حاجة ... وللشمس فوق اليعملات لعاب(٢)

ثم يتابع المتنبي دونما تمهل الحديث عن نفسه أمام كافور الذي أخذ يترقب ما سيأتي به الشاعر الذي أحس في أعماقه أنه لم يوف نفسه حقها وأخذ يتابع الحديث عن نفسه مستخدمًا لغة التعظيم دون تكتم فيقول:

تركنا لأطراف القنا كُل شَهْوَة ... فَلَيسَ لَنا إلا بهِنّ لُعَابُ
تُصَرِفه للطعنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ ... قد انقصفتِ فيهنَ مِنْهُ كِعَابُ(٣)
أعز مكانٍ في الدُنى سَرْجَ سَابحٍ ... وَخَيْر جَليسٍ في الزَمانِ كِتَابُ

ثم يعود أبو الطيب المتنبي إلى ممدوحه ولكن بقدر ولسنا ندري ما إذا كان يقصد مدحه أم ذمه حيث يقول:

وبحر أبي المسك الخضم الذي له ... على كل بحر زَخْرَةٌ وعُبابُ
تجاوزَ قَدْرَ المدحَ حتَى كأنه ... بأحْسَن ما يُثْنَى عَليهَ يُعابُ
وغالبه الأعداء ثم عنوا له ... كما غالبت بيض السيوفِ رقابُ
وأكثر ما تلقى أبا المسك بِذْلَةٍ ... إذا لم تصن إلا الحديد ثيابُ
وأوسع ما تلقاه صدرًا وخلفه ... رماءٌ وطعن والأمام ضرابُ
وأنفد ما تلقاه حكمًا إذا قضى ... قضاءَ ملوك الأرض منه غضابُ

---

(١) الذملان: السير السريع، الأكوار جمع كور وهو الرحل.

(٢) اليعملات: النوق النجيبة.

(٣) الحوادر: الغلاظ السمان.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يقـود إليـه طاعـة النـاس فـضله ... ولـو لم يقـدها نـائل وعـقـابُ
أيا أسـداً في جـسـمـه رُوح ضَيْغَمٍ ... وكم أُسـدٍ أروحَـهُن كـلابُ
ويا أخـذاً من دهره حق نفـسـه ... ومـثلك يعطي حَـقَـه ويُهَـابُ

ثم يأخذنا أبو الطيب من خلال أبياته إلى الهدف الذي ينشده أو الغاية التي يأملها فيلح في الطلب ويُذكّرَ به ظنًا منه بأن كافور يحتاج إلي التذكير وجذب الانتباه إلى الهدف الذي يتطلع إليه فيقول:

أرى لي بقـربي منك عـينًا قـريرةً ... وإن كـان قـربًا بالبـعـاد يُشـابُ
وهل نافعي أن ترفع الحجب بَيْنَنَا ... وَدُون الذي أملت مِنْكَ حِـجَـابُ
أقل سَلامي حُبَ مَا خَفَ عَنْكُمُ وفي ... وأسكتُ كَيْمَا لا يكُون جَوابُ سُكوتي
النفس حَـاجَـات وَفـيكَ فِطَانَة ... بَـيَـانٌ عِنـدهـا وَخِـطـابُ
ومـا أنا بالبـاغي على الحب رشوةً ... ضَـعـيفَ هوى يُبْـغَى عليـه ثوابُ
ومـا شـئت إلا أن أدُل عـوازلي ... على أن رأيي في هواك صـوابُ
وأعلم قـومًا خـالفـوني فـشرقـوا ... وغـربتُ أني قـد ظفـرت وخـابوا
جـرى الخلقُ إلا فـيك أنك واحـدٌ ... وأنـك لـيـث والمـلـوك ذئـابُ
وأنك إن قُـويستَ صَـحَف قـارئٌ ... ذئـابًا ولم يخطئ فـقـال ذبابُ (١)
وأن مـديح النـاس حق وبـاطلٌ ... ومـدحك حق لـيس فـيـه كـذابُ
إذا نلت منك الـود فـالمال هيّن ... وكل الذي فَـوْقَ التُـرابِ تُرَابُ
ومـا كنتُ لَوْلا أنْتَ إلا مُـهَـاجِـرًا ... له كـل يَـوْمَ بَلْـدَةٌ وَصِـحَـابُ
ولكنك الدنيـا إلي.. حـبـيـبـةً ... فـمـا عنك لي إلا إليك ذهابُ

لقد كانت الولاية ذلك الحلم الكبير الذي كان يراود المتنبي بين الحين والآخر مذكراً كافور بها في كل قصائده ولكن كافور كان يخشى ذلك ويرفضه

---

(١) أي أنه إذا صحف القاريء لفظ ذئاب في البيت السابق فقال ذباب لم يخطيء (الديوان).

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وأغلب الظن أن هذا يرجع لما أضمره كافور في نفسه لمعرفته التامة أن شاعرنا كان يعرف من ثقافاته المتعددة من أي نسب ينحدر كافور وكيف استولى على مقاليد الحكم؟ لهذا فقد عبر كافور عن ذلك بقوله:

«هو في الفقر وعدم العون سمت به نفسه إلى النبوة فكيف يكون أمره إذا أصاب الولاية».

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (٧)

المتنبي يهجو كافور ويهرب من مصر

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ومن هذا المنطلق أحس المتنبي بذلك مما جعله يعيش عيشة المغضوب عليه الذي أخذت تضيق عليه الطرق فقرر الفرار فهو في ظاهر الأمر حر سجين في حقيقته، وهذا ما جعله يتحين الفرصة للهرب سنة ٣٥٠ للهجرة هاجيًا كافور بأقبح ما يكون الهجاء وقد رأى شقوقًا في رجليه فقال:

أُريك الرضى لو أخفت الناسُ خافيا ... وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا
أمينا وإخلافا وغدرا وخسة ... وجبنًا أشخصًا لحت لي أم مخازيا
تظن ابتساماتي رجاءً وغبطة ... وما أنا إلا ضاحك من رجائيا
وتعجبني رجلاك في النعل إنني ... رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا
وإنك لا تدري ألونك أسودٌ ... من الجهلِ أم قد صار أبيض صافيا
ويذكرني تخييط كعبك شقه ... ومشيك في ثوب من الزيت عاريا
ولولا فضول الناس جئتك مادحًا ... بما كنت في سري به لك هاجيًا
فإن كنت لا خيرًا أفدت فإنني ... أفدت بلحظي مشفريك الملاهيا
ومثلك يؤتي من بلاد بعيدةٍ ... ليضحك ربات الحداد البواكيا

ثم هجا كافور بقصيدة أخرى يقول فيها:

من أيَه الطرق يأتي مثلك الكرَمُ ... أين المحاجم يا كافور والجَلَمُ
جاز الأُلى ملكت كفاك قدرهم ... فَعُرّفوا بك أن الكلب فوقهمُ
سادات كل أُناس من نفوسهمُ ... وسادة المسلمين الأعبدُ القَزَمُ
أَغاية الدين أن تحفوا شواربكم ... يا أُمة ضحكت من جهلها الأُممُ

---

(١) المحاجم جمع محجمة: القارورة يحجم بها الجلد ويقال لها كأس الحجامة، الجلم أحد شقي المقراض فقط وهما جلمان والمراد به هنا المشراط : يقول كيف يصل إليك الكرام من بين هذه الأشياء: وقيل أنه كان عبداً لحجام بمصر فلما باعه اشتراه الأخشيد (الديوان).

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ألا فتى يورد الهندي هامته ... كيما تزول شكوك الناس والتهمُ
فإنه حجةٌ يؤذي القلوب بها ... من دينه الدهرُ والتعطيلُ والقدمُ
ما أقدرَ الله أن يُخزي خليقته ... ولا يصدق قومًا في الذي زعموا

وها هو المتنبي يرثى لحاله ويهجو كافور وما آلت إليه أحواله بعد أن تقاعس الأخير عن عطائه الذي كان يأمله فلقد كان حلم المتنبي في يدٍ كريمةٍ تعطي بلا تفكير أو تريث ولاية يحكم فيها هذا الشاعر المهووس بجنون العظمة بين الناس فتلك العطية هي الشيء الوحيد الذي كان يشفي غليل المتنبي وسعى من أجله وبذل فيه جُلّ طاقته ولكنه حينما جاء إلى كافور يمدحه لم يأتِ مدحه بشيء لأنه مدح به الأحيمق ولما أن هجاه أيضًا لم يجد ما يقوله فلقد كان حلمه يدفعه دائمًا فمدحه ولكنه رأى الصورة قد انقلبت فظهر جانبه الآخر ثم يأتي ليقرر أنه حينما تأتي الإساءة من حقير خسيس فلن يلومه ولكن من يلوم إذن فقال:

أما في هذه الدنيا كريمُ ... تزول به من القلب الهمومُ
أما في هذه الدنيا مكان ... يُسَرُ بأهله الجار المقيمُ
تشابهت البهائم والعبدي ... علينا والموالي والصميمُ
وما أدري إذا داءٌ حديثٌ ... أصاب الناس أم داء قديمُ
حصلت بأرض مصر على عبيدٍ ... كأن الحر بينهم.. يتيمُ
كأن الأسود اللابي فيهم ... عُزابٌ حوله رخم ويومُ
أخذت بمدحه فرأيت لهوًا ... مقالي للأحيمق.. يا حليمُ
ولما أن هجوت رأيت عيًا ... مقالي لابن أوى يالئيمُ
فهل من عاذرٍ في ذا وفي ذا ... فمدفوع إلى السقم السقيمُ
إذا أتت الإساءةَ من وضيعٍ ... ولم أُلم المسيء فمن ألومُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وقد هجا المتنبي كافور يومًا بقصيدة أخرى يذهب فيها إلى أن من يحكم العبد في حياته يكون أحمقًا لا سيما وأن تحكم العبد في الحر يَدُل على تحكم الفساد في العقول.

كان كافور يعامل المتنبي معاملة المحكوم عليه بالسجن فلا هو يفي بوعده ولا هو يتركه ليرحل ولأن كافور كان يتفصل فهذا من طبيعته التى جُبَل عليها فلا يأتي بمكرمة بل هو في نظر المتنبي تمثالُ تجذبه كما يجذب الملاحُ السفينة، ثم يعود مرة أخرى ليؤكد أن الخير لن يأت من هذا الخصي الذي بيع في أسواق النخاسة وقد عبثت يد النخاس على رأسه وإن من خصائص العبيد وطبائعهم أنك لا ترى واحدًا منهم تدفعه مروءته إلى فعْل الخير، ثم يحاول المتنبي أن يدلل على ذلك إنك أن رؤية اللئيم فى نفسه يدل على أنه مولود من أصل لئيم فاللئيم الذي أهين إذا فارق منزل الهوان لا يمكنه أن يفارق أصله في الخسة واللؤم مهما احتلّ من مكانةٍ وحاز من رتب فيقول المتنبي:

أَنْوَكُ مِنْ عَبد وَمِنْ عُرْسِه ... مَنْ حكم العبد على نفسه [1]

وإنما يظهرُ.. تحكيمهُ ... تحكم الإفساد في حسه

ما مَن يرى أنك في وعده ... كمن يرى أنك في حبسه

لا ينجز الميعاد في يومه ... ولا يعي ما قال في أمسه

وإنما تحتالُ في جذبه ... كأنك الملاح في قلسه

فلا ترجّ الخير عند امرئٍ ... مرت يدُ النخاس في رأسه

وإن عراك الشك في نفسه ... بحاله فانظر إلى جنسه

فقَلّ ما يلوم في ثوبه ... إلا الذي يلوم في غَرْسِهِ

من وجد المذهب عن قدره ... لم يجد المذهب عن قنسِهِ [2]

---

(١) أنوك : أحمق، عرسه : زوجته.

(٢) القنس : الأصل.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وها هو المتنبي يهجو كافور عند خروجه من مصر بتلك القصيدة العصماء التي ما زالت أصداؤها تتردد في كل الأنحاء الناطقة بالضاد تلك القصيدة التي يقول فيها:

عيدٌ بأية حالٍ عُدتُ يا عيدُ ... بما مضى أم لأمر فيكَ تجديدُ

أما الأحبةُ فالبيداءُ دونهم ... فليت دونك بيدُ دونها بيدُ

ثم يؤكد المتنبي على ما ذهب إليه بأنه لولا طلب المعالي لم يختر إلا معانقة السيف ويعدل عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونقه في بياض البشرة فيقول:

لولا العلى لم تجب بي ما أَجوب بها ... وجناءُ حرفٌ ولا جرداءُ قيدودُ

وكان أطيب من سيفي معانقة ... أشباه رونقه الغيدُ الأماليدُ

لم يترك الدهرُ من قلبي ولا كبدي ... شيئًا تتيمه عين ولا جيدُ

يا ساقِيّ أخمْرٌ في كؤوسِكُما ... أم في كؤوسكما هُمُ وتسهيدُ

أصخرة أنا ؟ مالي لا تحركني ... هذي المدامُ ولا هذي الأغاريدُ

ثم يتعجب المتنبي ويتساءَل بأن أعجب ما يلقاه في هذه الدنيا هو أنه محسود بما هو شاك منه أي بقربه من كافور رغم أنه هو علة شكواه فيقول:

إذا أردت كميتَ اللون صافية ... وجدتها وحبيبُ النفس مفقودُ

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه ... أني بما أنا شاكٍ منه محسودُ

ثم يستطرد المتنبي بأنه قد صار غنيًا خازنه ويداه مستريحتان من نقل المال وحفظه لا سيما وأن أمواله كانت مواعيد كافور وهي لا تحتاج إلى ذلك فيقول:

أمسيتُ أروح مثرِ خازنًا ويدًا ... أَنا الغنيُ وأموالي الموعيدُ

ثم يأتي المتنبي ليصب جام غضبه على كافور لأنه قد وفد على كذابين قد منعوا أضيافهم حاجتهم وحاصروهم عن الترحال، إن أرواحهم منتنة من اللؤم فإذا أراد الموت أن يقبضها لم يباشرها بيده لنتنها بل ينتشلها بعود كما ترفع الجيفة فيقول:

إني نزلتُ بكذابين ضيفهم ... عن القرى وعن الترحال محدودُ

ما يقبض الموتُ نفساً من نفوسهم ... إلا وفي يده من نتنها عودُ

أكلما اغتال عبدُ السوء سيده ... أو خانه فله في مصر تسهيدُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

إن إمام الأبقين الهارب من قيده (يقصد كافور) قد صار إمام القوم فانقلبت موازينُ الأمور فالحرُ أصبح مستعبد والعبدُ أصبح معبود فيقول:

صار الخصي إمام الأبقين بها ... فالحر مستعبدٌ والعبدُ معبودُ
نامت نواطير مصر عن ثعالبها ... فقد بشمنّ وما تفنى العناقيدُ
العبد ليس لحر صالح بأخٍ ... لو أنه في ثياب الحرّ مولودُ

ثم يأخذنا المتنبي إلى وابل من الهجاء الذي يصبه على رأس كافور مستخدمًا فيه أقذعه فيقول:

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاسٌ مناكِيْدُ
ما كنتُ أحسبني أحيا إلى زَمَنٍ ... يسيءُ بي فيه عبدٌ وهو محمودُ
ولا تَوَهَمتُ أن الناسَ قد فقدوا ... وأن مثل أبي البيضاء مَوْجُودُ
وأنا ذا الأسود المثقوب مشفره ... تطيعه ذي العضاريطُ الرعاديدُ
جوعانُ يأكل من زادي ويمسكني ... لكي يُقال عظيمُ القدرِ مقصودُ
ويلمها خطةً ويُلمَ قابلها ... لمثلها خُلق المهرية القودُ
وعندها لذّ طعمُ الموت شاربه ... إن المنية عند الذلِ قنديدُ

وها هو ذا يعود ليتساءل بكبريائه المعهود فيه وبلغته التهكمية متسائلاً من الذي علم كافور الكرم هل قومه أم آباؤه الملوك ؟ أم حينما كان يسير وأذنه في يد النخاس يبحث له عن مشترٍ وقدره لا يساوي فلسين!!! إن كافور في نظر المتنبي أحق اللئام بالعذر على لؤمه وذلك لعجزه عن المكارم فيقول:

مَنْ عَلّمَ الأسودَ المخْصَي مَكْرمةَ ... أَقومه البيضُ أم آباؤه الصيدُ
أم أُذنه في يَدِ النخاسِ دامية ... أم قَدْره وَهُو بالفِلّسَين مَرْدُودُ
أولى اللئام كويفيرٌ بمعذرة ... في كل لؤم وبعض العذرِ تفنيدُ
وذاك أن الفحول البيض عاجزةٌ ... عن الجميل فكيف الخصية السودُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **المتنبي مع وردان بن ربيعه الطائي:**

لم نجد واحدًا تعرض لأبي الطيب المتنبي بسوءٍ إلا وكان الهجاء أسبق إليه ملطخًا صحيفته بمداد أسود يتذكرها الناس جيلاً أثر جيل.

فها هو المتنبي قد نزل بأرض حسمى على رجل يقال له وردان بن ربيعه الطائي فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب فجعلوا يسرقون له من أمتعته فلما أحس أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه ثم أمر الغلمان فأجهزوا عليه فقال هاجيًا وردان:

لئن تك طيءٌ كانت لئاما ... فأ لأمها ربيعة أو بَنُوه

وإن تك طيءٌ كانت كِرَامًا ... فوردانٌ لغيرهم أبُوه

مررنا منه في حسمي بعبدٍ ... يمجُ اللؤم منخرُه.. وفُوهُ

أشذّ بعرسه عني عبيدي ... فأتلفهم ومالي.. أتلفوه

فإن شقيت بأيديهم جيادي ... لقد شقيت بمنصلي الوجوهُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

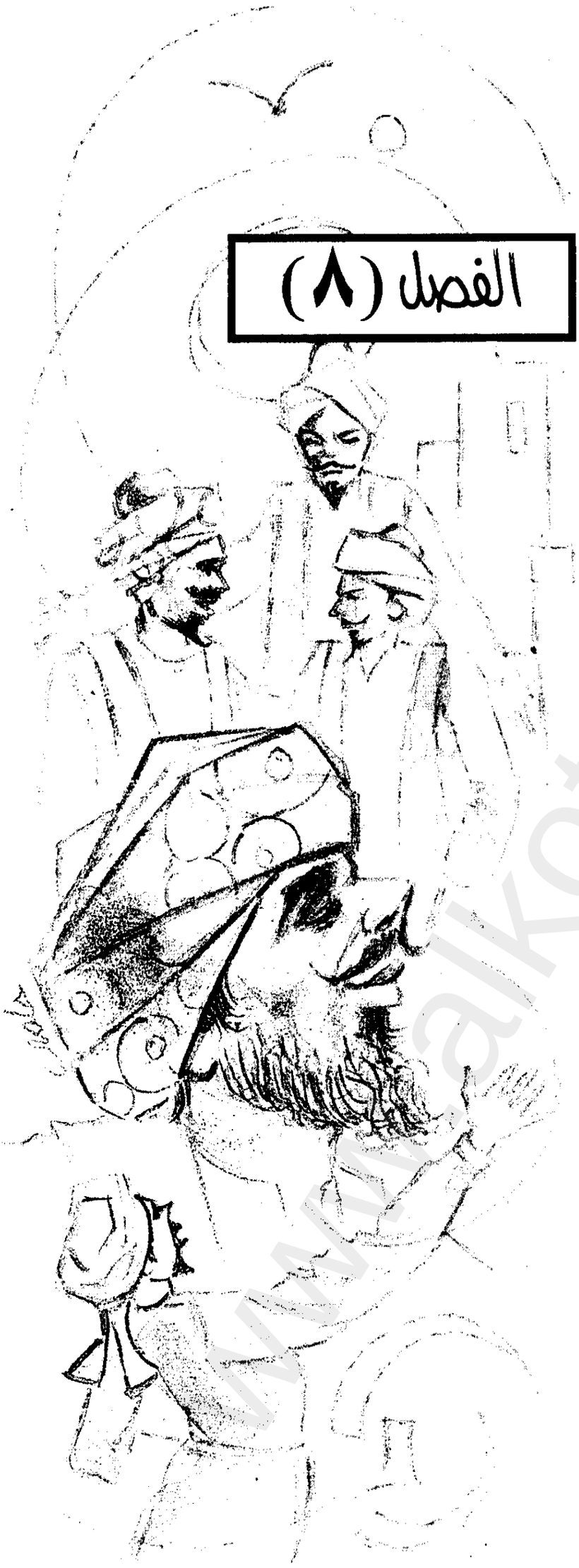

الفصل (٨)

بين المتنبي وحساده

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يقول أبو الطيب المتنبي عن نفسه في قصيدة يمدح أبا على هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب:

أَنا صخرة الوادي إذا ما زوحِمَتْ ... وإذا نطقت فإنني الجوزاءُ
وإذا خَفِيتُ على الغبيِّ فعاذِرٌ ... أن لا تراني مقلةٌ عمياءُ
شيمُ الليالي أن تشكك ناقتي ... صدري بها أَفضي أَم البيداءُ

تكشف لنا هذه الأبيات عن نفسية هذا الشاعر الذي تأصلت فيه سمات العظمة وحرص هو الآخر على صقلها فاجتاز دروب الكلمات يبحث في منعطفاتها عن تلك المعاني والأخيلة التي تمهد الطريق أمامه بلا منازع ولا منافس فكان مثلما يقول عن نفسه أنه صخرة الوادي، وأنه الجوزاء بين باقي النظراء ومن ثم فقد استحوذ عليه هذا الإحساس الذي ميزه عن غيره في أي مكان تطأ فيه قدمه فعاداه الجميع ولاحقوه في كل درب وصوب فانداحت دائرة الحقد وتأججت نيران الغضب وكان هو الآخر يسعى إلى إذكائها بين الفينة والأخرى حينما تأتي أبياته اللاذعة كالنار تلهب كل من يقف في طريقه، فحينما خرج أبو الطيب المتنبي إلى جبل جرس ونزل بأبي الحسين علي بن أحمد المري الخرساني وكان بينهما مودةً بطبرية قال من بين أبيات القصيدة التي مدحه فيها:

كل حلم أتى بغير اقتدارٍ ... حُجةٌ لاجيءٌ إليها اللئَامُ
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميتٍ.. إيلامُ
ضاق ذرعًا بأن أضيق به ذر ... عًا زماني واستكرمتني الكرامُ
واقفًا تحت إخمصي قدر نفسي ... واقفًا تحت إخمصيّ الأنامُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يقول في أبيات أخرى منها:

إن بعضًا من القريض هذاءٌ ... ليس شيئًا وبعضه أحكامُ

منه ما يجلبُ البراعة والفضـ ... ـلَ ومنه ما يجلبُ البِرْسَامُ(١)

إن من يتأمل هذه الأبيات يجد أن المتنبي قد فتح بينه وبين حساده نار الحقد والكراهية وحاول إشعالها لأن نفسيته قد جبلت على ذلك حينما علا بقدره فوق الجميع فهو يعرف قدر نفسه وطموحاته لكنه يرى الأنام تحت أخمص قدمه وهذا تصورٌ شمولي لكل الأنام ثم يتجه أبو الطيب المتنبي إلى التخصيص في نهاية القصيدة ليوغر صدور أعدائه عليه لاسيما الشعراء منهم حيث يرى أن بعضًا من هذا الشعر كلام غير معقول ولا يساوي أي شيء إلا أنه يرى أشعاره أحكام تجلب البراعة والفضل وتحفظ له مكانة القمة بين النظراء الذين تجلب أشعارهم مرض الصدر.

ولما رأى المتنبي أن حساده تكالبوا عليه والتفوا حوله يريدون النيل منه آثر المتنبي الرحيل من عند أبي الحسين الخرساني لأنه يعشق أن يكون النصر حليفه فإذا غادر المكان إلى مكان آخر غادره وهو منتصر مُخَلِفٌ خلفه نار الحسد والغيظ في قلوب شانئيه فقال وقد أراد الارتحال:

لا تنكرنّ رحيلي عنكَ في عجلٍ ... فإنني لرحيلي غيرُ مُختارِ

وربما فارق الإنسانُ مُهجته ... يوم الوغى غير قالٍ خشيةَ العارِ

وقد منيتُ بحسادٍ أُحاربهم ... فاجعل نداكَ عليهم بعض أنصاري

إذن هو يعرف مواطن العلة وأين يكمن الداء؟ وكيف أنه رحل عن ممدوحه لكنه لم يكن مخيّرًا في هذا الرحيل الذي فُرض عليه لأنه قد مُني بحسادٍ اجتمعوا عليه. ويقول الدكتور محمد التونجي في كتابه المتنبي ماليء

---

(١) البرسام: مرض في الصدر.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الدنيا وشاغل الناس «أن المتنبي: «كان يقتل حساده بأمرين، بوصوله إلى مبتغاه في حين يتعذر عليهم وقوله كلامًا يذيبهم حقدًا ويزيدهم غيرة فقد أعلن في إحدى المرات أنه وصل إلى قلب سيف الدولة وما على الحساد إلا أن يذوبوا».

وللحساد عُذرٌ أن يشحوا ... على نظري إليه وأن يذوبوا

فإني قد وصلتُ إلى مكانٍ ... عليه تحسد الحدق القلوبُ

ولقد تحدث المتنبي في مواضع كثيرة عن حسد حساده الذين وقفوا في وجهه وهو يعرف السبب ويصرح به ولا يكف عن التصريح به فحينما مدح سيف الدولة الحمداني سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئَة يهنئه بحلول عيد الأضحى في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما حيث يقول:

لكل امرئٍ من دهره ما تعودا ... وعادةُ سيف الدولة الطعن في العدى

ثم يرفع سيف الدولة الحمداني إلى أعلى الغايات حيث تأتيه ملوك الأرض خاشعة وتفارقه هلكى وتلقاه سُجدا فيقول:

تظلُ ملوك الأرض خاشعة له ... تفارقه هَلْكَى وَتَلْقَاه سُجدا

ثم يأتي المتنبي في نهاية القصيدة ليعلن أمام سيف الدولة أنه هو الذي صير الحساد حسادًا له ولنتأمل هذه الأبيات التي لا تدع مجالاً للشك أنه يتعمد إثارة حقد الحاقدين عليهم فيقول:

أَزل حَسَدَ الحُسّادِ عَني بكَبْتِهم ... فأَنتَ الذي صيرتهم لي حُسدا

إذا شَدّ زندي حسن رأيك فيهمُ ... ضَرَبْتُ بسَيْفٍ يَقْطَع الهامَ مُغمدا

وما أنا إلا سمهريٌ حملتَهُ ... فزينّ معروضًا وراع مُسدّدا

ثم يصل به الفخر بنفسه إلى أرفع مكانة فيقول:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي ... إذا قلت شعرًا أصبح الدهر منشدًا

فسار به من لا يَسيرُ مشمرًا ... وغنى به من لا يغني مغرّدًا

أجزني إذا أَنشدت شعرًا فإنما ... بشعري أتاكَ المادحون مُردَّدا

ودع كل صوتٍ غير صوتي فإنني ... أنا الطائرُ المحكيُ والآخر الصدى

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تركت السُرى خلفي لمن قل ماله وأنعلتُ أفراسي بنعماكَ عَسْجَدا

ثم ينعطف إلى منعطف آخر ليضمن لنفسه المكانة الباقية في قلب سيف الدولة فيقول:

فَقَيدتُ نفْسِي في ذُرَاكَ مَحَبة ومن وجَدَ الأحْسَانَ قَيْدَاً تَقَيدا

إذا سأل الإنسان أيامه الغنى وكنت على بُعد جَعَلْنَاك مَوْعِدا

ومن خلال ما سبق فإننا نرى أن المتنبي قد تحكمت فيه نزعات الكبرياء وجنون العظمة فلم يكن له عدو واحد بل كان له أعداءٌ وحساد من كل الفئات والطبقات مثل أبي فراس الحمداني، وابن لنكك، وابن خالويه وغيرهم ولقد هجاه أحدهم بقوله:

قولا لأهل زمانٍ لاخلاق لهم ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا

أَعطيتم المتنبي فوق منيته فزوجوه برغم.. أُمها تكموا

لكنّ بغداد جادَ الغيثُ ساكنها نعالهم في قفا السقاءِ تزدحمُ

وإذا نظرنا إلى هذه الأبيات نجد أنها تتكأ جراح المتنبي في نقطة ضعفه التي كان يحاول الهروب منها وكان يحاول أعداءَه النفاذ بها إليه ألا وهي ضعته في نسبه وحرفة والده (كسقاءٍ) يتنقل بين البوادي والحواضر لهذا فقد حاول المتنبي أن يهرب من هذه الدائرة التي التف حساده بها حوله نكاية به ولكنه كان كالسيل العرم إذا تحدث عن نفسه فإنه يكتسح بكلماته كل حاقد وكاره، كان يشعر هو في قرارة نفسه أنه الأوحد بين أترابه فبقيت كلماته شامخة على مر العصور والأزمان وانطوت كلمات حساده ووراها النسيان.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (٩)

المتنبي يعود إلى العراق

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

خرج أبو الطيب المتنبي من مصر مخلفًا وراءه النقمة على كافور وقد انطبع ذلك في أكثر من قصيدة قالها المتنبي في حق ذلك العبد الخصي الذي تربع على عرش مصر ولم ينس المتنبي في يوم من الأيام تلك الخديعة التي تعرض لها فتكسرت آماله وطموحاته على عتبات ذلك العبد المخادع فاتجه أبو الطيب المتنبي إلى العراق بعد أن ضاقت سبل الحياة في وجهه حتى وصل إلى الكوفة ومكث بها بضعة شهور كان يقصده زرافات من راغبي الأخذ عنه ثم اتجه إلى بغداد واستقر به المطاف هناك لم يمدح معز الدولة أو وزيره المهلبي الذي كان «أديبًا وشاعرًا التف حوله الأدباءُ والشعراء ولكن المتنبي لم يأنس إليه لكلفه بالمجون واللهو واستيلاء أهل الخلاعة عليه».

❖ **الوزير المهلبي يحرض أدباء بغداد عليه:**

ومن ثم فقد حرض الوزير المهلبي أدباء بغداد وشعرائها على هجاء المتنبي وأقذعوا في المعاداة له إلا أن شاعرنا لم يجب عليهم في هذا الهجاء وسئل ذات مرة لماذا لا تهجو هؤلاءِ الشعراء أو حتى ترد عليهم ؟ أجاب المتنبي الواثق من نفسه ومن أشعاره لقد أجبتهم وفرغت من ذلك بقولي:

أرى المتشاعرين غُرُوا بذمي ... ومن ذا يحمد الداءَ العضالا

ومن يَكُ ذا فم مرٍ مريضٍ ... يجد مرًا به الماءَ الزلالا

وكيف لا وهو القائل في صباه:

رَمَاني خِسَاسُ الناسِ من صَائب استه ... وآخرَ قطنٌ من يَدَيه الجَنَادِلُ

ومِنْ جَاهِلٍ بَي وَهَو يَجْهَل جَهْلَه ... ويَجْهَل عِلْمي أنه بِيَ جَاهِلُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يقول:

وما زلتُ طوداً لا تزول مناكبي إلى أن بدت للضيم في زلازلُ

وقول المتنبي:

أفي كل يوم تحت ضبني شويعرٌ ضعيف يقاويني قصيرٌ يطاولُ

وقوله:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كاملُ

لم يعبأ المتنبي بقادحيه ولم يلتفت إليهم طرفة عين فلقد كان شغله الشاغل وهمه الذي لا ينقطع وأمله الذي يرادوه بين الفينة والأخرى تلك الانطلاقة التي يسعى إليها ويحرص عليها باستحواذه على ولاية يحكمها ولربما رسم هذا الشاعر الفذ بشاعريته طموحات كبيرة وبيوتًا في الفضاء حول تلك الولاية التي تخيلها ومن هنا ارتحل شاعرنا من بغداد ليرجع أدراجه إلى الكوفة مرة أخرى وظل بالكوفة حتى أغار بني كلاب عليها فقاد أبو الطيب المتنبي الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام حتى حضر جيش بغداد بقيادة «دولير بن لشكروز «فارتحل بنو كلاب عن الكوفة بعد هزيمتهم. وبعد انتهاء المعركة أرسل القائد «دولير بن لشكروز «ثيابًا من ديباج وخز فلما وصلت الهدية إلى أبي الطيب المتنبي بادر برد الجميل فخاطبه بالقصيدة التالية:

كدعواك كل يدعى صحةَ العَقْلِ ومَنْ ذَا الذي يَدْري بما فِيه مِنْ جَهلِ

إلى أن يصل إلى قوله:

وقاد لها دليرٌ كل طِمرةٍ تنيف بخديها سحوق من النخل (١)

وكل جواد تلطم الأرض كفه بأغنى عن النعلِ الحديدِ من النعلِ

فولت تُرِيغُ الغَيْثَ والغيثَ خَلَفت وتطلب ما قد كان في اليد والرجلِ

(١) الطمرة : الفرس الوثابة، تنيف : تشرف، السحوق : الطويلة من النخل.

www.al[illegible].com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يمدحه أيضًا بقوله:

شجاعٌ كأن الحرب عاشقة له ... إذا زارها فدّته بالخيل والرّجل

وريان لا تصدى إلى الخمر نفسه ... وصديان لا تردى يداه من البذلِ

إلى أن يصل إلى قوله:

وما دام دليرٌ يَهزُ حسامه ... فلا نابَ في الدنيا لليث ولا شبلِ

وما دام دليرٌ يقلبُ كفه ... فلا خلق من دعوى المكارم في حلِ

فتى لا يُرَجى أن تتم طهارة ... لمن لم يطهر راحتيه من البخلِ

فلا قطع الرحمن أصلاً أتى به ... فإني رأيتُ الطيبَ الطيبَ الأصلِ

❖ المتنبي يرفض العودة لسيف الدولة:

وبعد فترة من الزمن ورد إلى أبي الطيب المتنبي كتابان أحدهما مكتوب بخط سيف الدولة يدعوه إلى العودة لحلب، والثاني كتاب بن العميد الفارسي يطلب منه زيارته بأرجان إلا أن المتنبي أجاب سيف الدولة الحمداني الحمداني بهذه القصيدة التي يثني فيها عليه ويرفض العودة إليه فيقول:

فهمت الكتابَ أبر الكتب ... فسمعًا لأمر أمير العرب

وطوعًا له وابتهاجًا به ... وإن قصر الفعل عما وجب

ثم يسوق المتنبي مبررات رفض الدعوة فيقول:

وما عاقني غير خوف الوشاة ... وإن الوشايات طُرْقُ الكَذِبْ

وتكثير قومٍ وتقليلهم ... وتقريبهم بيننا والخبب

وقد كان ينصرهم سمعه ... وينصرني قلبه والحسب

وما قلت للبدر أنت اللجين ... وما قلت للشمس أنتِ الذهب

فيقلق منه البعيد الأناةِ ... ويغضب منه البطيء الغضب

وما لاقني بلد بعدكم ... ولا اعتضت من رب نُعمَاي رب

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يأتي المتنبي كما هي عادته دائمًا فكل ممدوحيه لابد وأن يكونوا أقل منه منزلة ولو على الأقل في مخيلة الشاعر وما يكنه في صدره فيقول لسيف الدولة:

ومن ركب الثور بعد الجواد أنكر أظلافه والغببْ(١)

إلا أن المتنبي كان يشعر في أعماق نفسه أن هذه القصيدة هي آخر ما يمدح به سيف الدولة الحمداني فضمنها لواعج حبه ومكنون مودته.

وقد استعد للرحيل من الكوفة إلى إبن العميد في أرّجان.

(١) الأظلاف : جمع ظلف بمنزلة الحافر من الدابة، الغبب : اللحم المتدلي تحت حنك البقرة.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

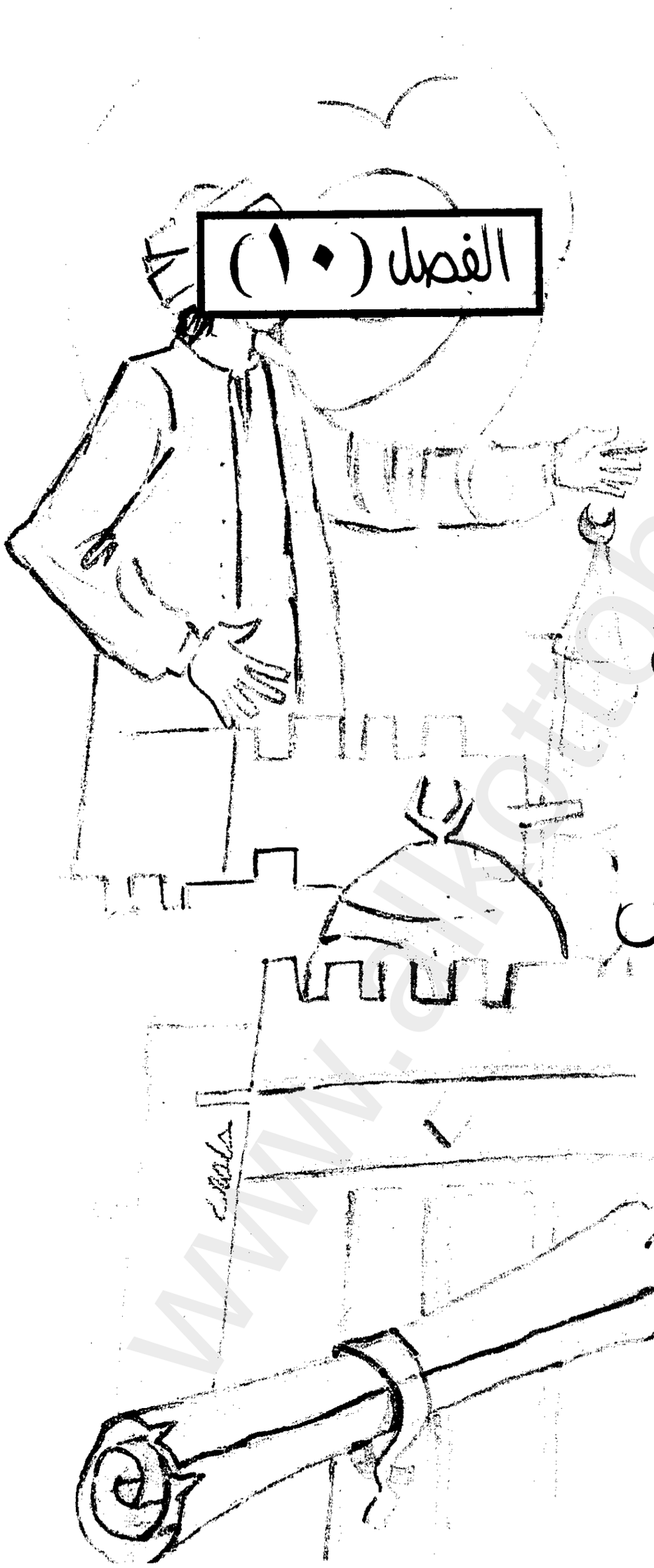

المتنبي في بلاد فارس

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

لبى أبو الطيب المتنبي دعوة ابن العميد واضعًا نصب عينيه الوصول إلى سيده (عضد الدولة) لعله يصل إلى هدفه الذي يأمله ويرجوه.

فلما وصل المتنبي أرجان وجدها ضيقة الدور والمساكن فقال:

«تركتُ ملوك الأرضِ يتعبدون بي وقصدت ربَ هذه المدرة فما يكون منه؟».

ثم أرسل غلامه على راحلته إلى بن العميد ودخل عليه وقال مولاي أبو الطيب خارج البلدة فثار من مضجعه وأمر حاجبين باستقباله فركب واستركب من لقيه في الطريق فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلدة فدخل على أبي الفضل بن العميد فقام له وطرح له كرسيًا عليه وسادة ديباج وقال أبو الفضل كنت مشتاقًا إليك يا أبا الطيب، وقد أفرد أبو الفضل له دارًا نزلها وكان يغشى أبا الفضل كل يوم ويؤاكله ومعلوم أن ابن العميد هذا : هو الأديب الكبير وزير عضد الدولة وقد لبث الشاعر عند بن العميد شهرين وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه». (١)

مدح أبو الطيب المتنبي ابن العميد في عدة قصائد أجزل له ممدوحه فيها العطايا وأطال أبو الطيب الثناء عليه ثم بعد ذلك أعد العدة للعودة إلى الكوفة مرة ثانية وبينما يتأهب في العودة إلى الكوفة إذ جاءه كتاب من عضد الدولة يطلبه. وسار المتنبي من أرجان وعلى مقربة من شيراز دخل البلدة فأُنزل دارًا مفروشة وبعد أن نفض غبار السفر عنه ركب إلى عضد الدولة ومدحه بمجموعة من القصائد الفريدة نذكر منها تلك النونية الرائعة التي يذكر في طريقه إليه شعب بوان فيقول:

---

(١) خزانة الأدب.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

مغاني الشعب طيبًا في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمانِ
ولكن الفتى العربي فيها..! ... غريب الوجه واليد واللسانِ
ملاعب جنة لو سار فيها ... سليمانٌ لسار بترجمانِ
طبت فرساننا والخيلَ حتى ... خشيتُ وإن كرمن من الحرانِ
غدونا تنفض الأغصان فيها ... على أعرافها مثل الجمانِ
فسرت وقد حجبن الحرّ عني ... وجئن من الضياءِ بما كفاني
وألقي الشرق منها في ثيابي ... دنانيرًا تفر من البنانِ
لها ثمر تشير إليك منه ... بأشربة وقفن بلا أوانِ
وأمواه تصل بها حصاها ... صليل الحلي في أيد الغواني
ولو كانت دمشق ثنى عناني ... لبيقُ الثردِ صينيُ الجفانِ
يلنجوجي ما رفعت لضيفٍ ... به النيران ندىُ الدخانِ
تحلُ به على قلب شجاعٍ ... وترحل منه عن قلب جبانِ
منازل لم يزل منها خيالٌ ... يشيعني إلى النوبندجان [1]
إذا غنى الحمام الورق فيها ... أجابته أغانيُ القيان
ومن بالشعب أحوج من حمامٍ ... إذا غنى وناح إلى البيانِ
وقد يتقارب الوصفان جداً ... وموصوفاهما متباعدانِ
يقول بشعب بوانٍ حصاني ... أعن هذا يُسار إلى الطعانِ
أبوكم أدم سنّ المعاصي ... وعلمكم مفارقة الجنانِ

ثم يدخل أبو الطيب المتنبي في مدح عضد الدولة مناديًا إياه بأبي شجاع مرةً ومرة أخرى بعضد الدولة الذي ليس له في الناس ثان وإذا كان قد مدح غيره فإنما يعد هذا المديح تمرين له على مدحه فيقول المتنبي:

---

(١) النوبندجان : بلد بفارس.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فقلت إذا رأيت أبا شجاعٍ ... سلوتَ عن العبادِ وذا المكانِ
فإن الناس والدنيا طريق ... إلى من ماله في الناس شانِ
لقد علمت نفسي القول فيهم ... كتعليم الطراد بلا سنانِ
بعضد الدولة اقتنعت وعزت ... وليس لغير ذي عضدٍ يدانِ

ثم يصل المتنبي في قوله إلى قمة المديح لعضد الدولة حيث يقول له:

وكنت الشمس تبهرُ كل عين ... فكيف وقد بدت معها اثنتان

يقصد بهذا القول ولدا عضد الدولة.

فعاشا عيشة القمرين يُحيا ... بضوئهما ولا يتحاسدانِ
ولا ملكا سوى ملك الأعادي ... ولا ورثا سوى من يقتلانِ

ثم يقول المتنبي لعضد الدولة إن عدوك الذي له ابنان يفتخر بكثرتهما عليك كانا بمنزلة الياءين في كلمة أنيسيانِ يزيدان في عدد حروفها وينقصان في معناه بالتصغير فيقول:

وكانا ابنا عدو كاثَراه ... له ياءَى حروف أُنيسيان
دعاءٌ كالثناء بلا رئاء ... يؤديه الجنان إلى الجنانِ
فقد أصبحت منها في فرندٍ ... وأصبح منك في عضبٍ يمانِ
ولولا كونكم في الناس كانوا ... هراءً كالكلام بلا معان

❖ **أبو الطيب المتنبي ينعي نفسه في آخر قصيدة:**

يحمل أثقال وهموم الحلم الضائع بين خياله المتوقد وعبقريته الفذة فها هو يبدأ قصيدته بقوله:

فدى لك من يُقصّر عن مداكا ... فلا ملك إذن إلا فَداكا
ولو قلنا فدى لك من يُساوي ... دعونا بالبُقاء لمن قلاكا

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم يودعه المتنبي بقوله:

أروحُ وقد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا
وقد حملتني شكرًا طويلاً ... ثقيلاً لا أطيق به حَراكا
أُحاذر أن يشق علي المطايا ... فلا تمشى بنا إلا سِوَاكا
لعل الله يجعله رحيلاً ... يُعينُ عَلَى الاقَامِة في ذُرَاكا

ولكن هذا الحلم الذي كان يأمله المتنبي في هذا البيت الأخير لم يتحقق ثم يمضي المتنبي في مديحه الذي يشع حسرةً وألم فيقول:

فلو أني استطعت خفضت طرفي ... فلم أبصر به حتى أراكا
وكيف الصبر عنك وقد كفاني ... نداك المستفيض وما كفاكا

ثم يأخذنا المتنبي في هذا المديح الرائع مخاطبًا عضد الدولة فيقول له كيف أتركك وقد أنزلتني منزلة رفيعة حتى كأني قد انتعلت عين الشمس فإذا ابتعدت عنك قطعت مشيتي سيور ذلك النعل وهنا يقصد فقدان المكانة والرفعة التي حظى بها عند عضد الدولة.

فيقول المتنبي:

أتتركني وعين الشمس نعلي ... فتقطع مشيتي فيها الشراكا
أرى أسفي وما سرنا شديداً ... فكيف إذا غدا السيرُ ابتراكا
وهذا الشوق قبل البين سيفٌ ... وها أنا ما ضُرِبتُ وقد أحاكا
إذا التوديع أعرض قال قلبي ... عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكثر ما تمنى ... معاودة لقلب : ولا مناكا

ثم يمضي المتنبي في وله حتى يصل إلى نفسية المتنبي وما جبلت عليه فنجده يقارن بين عظمة شعره ورفعة ممدوحه فكلاهما عجب عند من يسمع شعره في عضد الدولة فقد احتار واختلط عليه الأمر فلم يعد يدرك سر الحسن فيما يسمع من الشعر فإذا كان الثناء الطيب الرائحة الذي هو عرض

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

الممدوح كان بمنزلة المسك والطيب فإن شعر المتنبي ومدائحه فيه بمنزلة الحجر الذي يُسحق به ذلك الطيب فيقول:

وكم طربَ المسامع ليس يدري ... أيعجب من ثنائي أم علاكا

وذاك النشر عرضك كان مسكًا ... وذاك الشعر فهري والملاكا

ويبدو أن أبا الطيب المتنبي كان ينعي نفسه في القصيدة دون أن يدري ويتوجع في غير صراخ وألَم على آخر صفحة من كتاب حياته فيقول له:

ومن أعتاضَ عنك إذا افترقنا ... وكل الناس زورٌ ما خلاكا

وما أنا غير سَهْمٍ فِي هَواءٍ ... يَعودُ ولَمْ يجَد فيه امتساكا

حَيِيٌ من إلهي أن يراني ... وقد فارقت دراك واصطفاكا

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

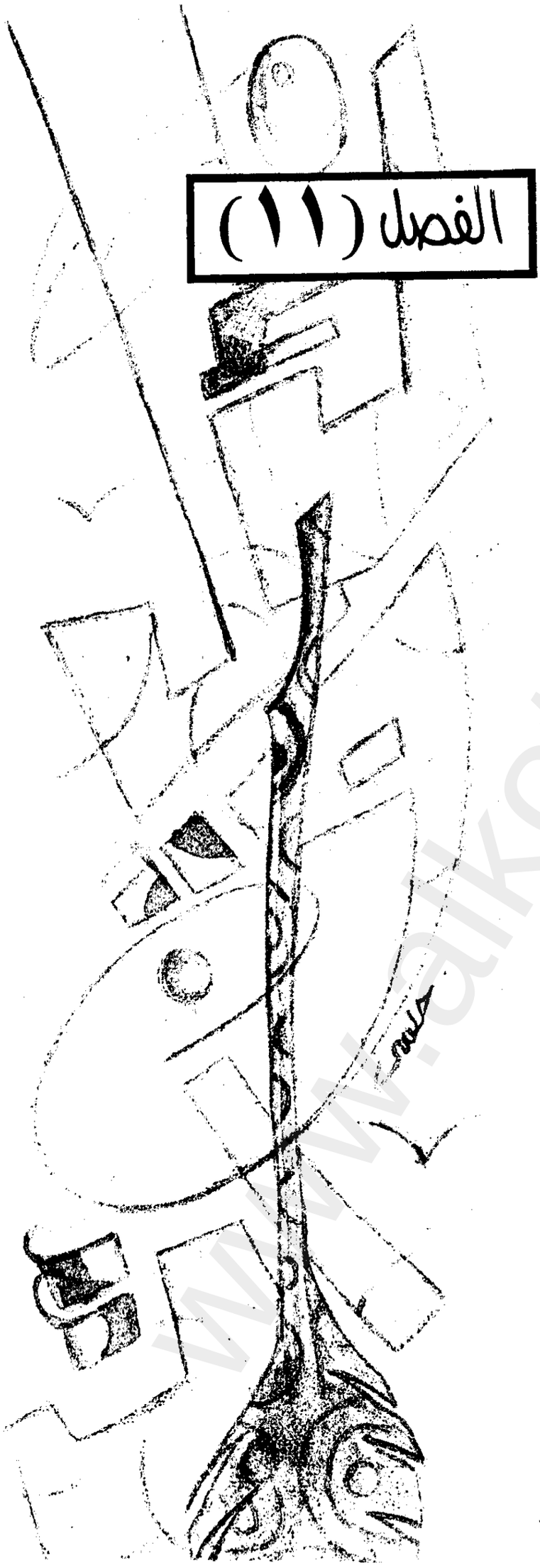

الفصل (١١)

نهاية المطاف لكلمات قاتلة

** معرفتي **

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وها هي النهاية قد أشرفت بعد أن أفلت طوالع مجده وقاربت شمس حياته على المغيب وأوشك هذا الموج الهادر أن يسكن في رحلة الأبد بعد أن سطر أروع الصفحات في تاريخ أدبنا العربي.

تعددت الروايات حول مقتل (المتنبي) فمن قائلٍ يدعي بأن هناكَ خلافًا نشب بين المتنبي وبين عضد الدولة بعد أن وصله الأمير بثلاثة آلف دينار وثلاثة أفراس محلاة ثم دس عضد الدولة عليه من يُوقع به بهذا التساؤل:

أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟

فقال المتنبي: إن سيف الدولة كان يعطي طبعًا وعضد الدولة يعطي تطبعًا وتضيف الرواية بأن عضد الدولة غضب عليه وأوصى عليه جماعة أن يقتلوه ومع توافق هذه الرواية مع دخائل وطبائع النفس البشرية إلا أننا نرفضها من منطلق العقل والمنطق إذا أمعنا النظر في شخصية المتنبي الذي عركته السنوات وحاشاه أن يرتكب مثل هذا التقول أو يقع في هذه الذلة وهو الذي رفع عضد الدولة إلى أعلى الغايات واستنجد به الشعراء المحبون للمتنبي أن يثأر الأميرُ من القِتلة حتي لا يضيع دم الشاعر الفذ هباءً.

وتأتي رواية أخرى لتخبرنا بأن «المتنبي «حينما انصرف من مجلس عضد الدولة محملاً بالهدايا والمنح وقد عقد العزم على الرحيل طلب من بعض الحراس الاستعانة بهم لحراسته أثناء السفر ولكنهم طلبوا منه خمسين درهمًا لكل حارس في مقابل حمايته لكنه رفض لبخله الشديد واعتقاده أنهم يسعون لابتزازه فسافر بمفرده حتى لقيه بعض قطاع الطرق وقاموا بقتله.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

إلا أننا أيضًا نرفض هذه الرواية ولا نقرها لا سيما وأن المتنبي كان مشهودًا له بالفروسية وخوض المعارك وكان خدن سيف الدولة في الكثير منها - هذا بجانب خبرته بالمفاوز والطرق الوعرة - بالإضافة إلى جنون العظمة الذي لازمه منذ أن شب عن الطوق فكانت همته وعلو مكانته تأبى أن يسير في خفارة غير سيفه لهذه الأسباب مجتمعة نجد أننا لا نقبل هذه الرواية التي نسجتها أصابع الزمان.

إلا أن الرواية التي أجمع المؤرخون عليها تقول:

فبعد أن غادر أبو الطيب المتنبي (عضد الدولة بن بويه) وانصرف من عنده عائدًا إلى بغداد فالكوفة في أوائل شهر شعبان سنة ٣٥٤هـ الموافق شباط ٩٦٥م وهو في طريقه إلى بغداد مرّ بصديق له يدعي أبو النصر محمد الحلبي فأخبره بأن فاتكًا الأسدي يتتبع أثره منذ مغادرته لبلاد فارس واجتيازه جبل دير العاقول وأطلعه على النية السيئة التي يضمرها فاتك له بسبب هذه القصيدة التي هجا فيها ابن أخته ضبة القرمطي ومما يحكى عن ضبة بن يزيد العتبي أنه كان مغادرًا الكوفة مع عائلته وقد اعترض له قوم من الأعراب من قبيلة كلاب ودارت بينهم معركة قتل فيها والد ضبة وسبيت أمه.

وكان ضبة مشهورًا ببذاءَة اللسان والغدر حتى بضيوفه ولعل ما حدث له هو نوع من الانتقام له بسبب خسته وغدره وزاد حنق ضبة على أهل الكوفة عندما قتل والده فأقذع في الشتم لهم فلجاؤ إلي أبي الطيب المتنبي لكي يثأر لهم من ضبة فقال المتنبي قصيدته القائلة:

ما أنصف القومُ ضبة ... وأمه الطُرطبة

وإنما قلت ما قلت ... رحمة لا محبة

وحيلةً لك حتى ... عذرت لو كنت تأبهْ

وما عليك من القـ ... ـل إنما هي ضَرْبَهْ

وما عليك من الغـ ... ـرِ إنما هي سُبهْ

www.al-maktabeh.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يا قاتلاً كل ضيفٍ غناه ضيحٌ وعُلبَهْ
وخوف كل رفيق أَباتك الليل جَنْبَهُ
كذا خلقت ومن ذا الذ ي يغالب رَبَّهْ
ومن يبالي بذمٍ إذا تعوّدَ كسْبَهْ
فسل فؤادك يا ضـ ـب أين خلف عُجْبَهْ
وإن يخنك فعمري لطالما خان صَحْبَهْ
وكيف ترغب فيه وقد تبينت.. رُعْبَهْ
ما كنت إلا ذبابًا نفتك عنه مَذَبَّهْ
وإن بعدنا قليلاً حملت رُمْحًا وَحَرْبَهْ
وقلت ليت بكفي عنان جرداء شَطْبَهْ
إن أوحشتك المعالي فإنها دار.. غُربَهْ
أو أنستك المخازي فإنها لكَ نسْبَهْ
وإن عرفت مرادي تكشفت عنك كُرْبَهْ
وإن جهلت مرادي فإنها بك أشْبَهْ

وفي هذه القصيدة تعرض أبو الطيب المتنبي لوالدة ضبة بأقذع الألفاظ حتى أنه كان يكره سماعها إذ رويت له.

ولقد حاول أبو النصر محمد الحلبي أن يثني أبا الطيب المتنبي عن عزمه فأبى ونصحه بأن يصحب معه من يستأنس به في الطريق فلم يزداد إلا أنفة وعنادًا وأبى أن يصحب معه أحد قائلاً:

أنا والجراز في عنقي فما بي من حاجة إلى مؤنس ثم قال : والله لا أرضى أن يتحدث بأني سرتُ في خفارة غير سيفي فحذره أبو النصر مرة ثانية فما كان من المتنبي إلا أن أجابه بكبريائه المعهود :

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبنجوا الطير تخوفني ومن عبيد العصا تخاف علي، معاذ الله أن أشغل بهم فكري طرفة عين فقال له أبو النصر قل إن شاء الله فرد المتنبي بقوله:

«هي كلمة مقولة.. لا تدفع مقضيًا ولا تستجلب آتيًا»

وخرج وليس معه إلا إبنه مُحَسّدٌ وغلمانه فلما كان في بعض طريقه إلى بغداد قريبًا من ديرِ العاقول تلقاه فاتك وأصحابه على غرة فهاجموا المتنبي الذي حاول الهرب لما أحس بالهزيمة كما تحكي بعض الروايات فقال له أحد غلمانه يا سيدي ألست القائل:

الخيلُ والليلُ والبَيْدَاء تَعْرِفُني والسيفُ والرمحُ والقرطَاسُ والقلمُ

فنزل لمحاربتهم على كره منه حتى قتل المتنبي وولده ومن معه وسرقوا ما كان معهم من متاع ومالٍ وكتب وهكذا ذهب المتنبي ضحية كبريائه وكلماته فقد تلقى الموت مكافأة له على هذه القصيدة التي كانت سببًا في طي آخر صفحة من حياته وربما أراد فاتك الأسدي أن يخلد سيرته في التاريخ حينما يقتل شخصًا بحجم المتنبي ونبوغه العبقري فيكون بذلك قد أصاب نجاحين النجاح الأول الثأر لشقيقته التي هجاها المتنبي بأقذع الألفاظ والنجاح الثاني تلك الشهرة التي نالها وحققها على مر التاريخ فما من باحث أو دارس يقترب من سيرة المتنبي إلا وسيتعرض لحادثة موته، تري ماذا كان يذكر التاريخ لفاتك الأسدي لو لم يقتل المتنبي على يديه؟

فربما فكر فاتك في الإجابة علي هذا التساؤل حينما قتل صانع الكلمة التي ملأت قصائده الأسماع وطوفت أبياته بكل الأصقاع فتوج باسمه عصره وزخر بشعره تاريخ الأدب حتى يومنا هذا.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (١٢)

رثاء الشعراء لأبي الطيب المتنبي

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

لتعلم مصر ومن بالعراق ... ومن بالعواصم أني الفتى
وأني وفيتُ وأني أبيتُ ... وأني عتوتُ على من عتا
وما كل ما قال قولاً وفى ... ولا كل سيمَ خسفًا.. أبى
ومن يك قلبٌ كقلبي له ... يُشق إلى الغرِّ قلبَ التوى
ولابد للقلب من آلةٍ ... ورأي يصدعُ صُمَ.. الصفا
وكل طريق أتاه الفتى ... على قَدَرِ الرجل فيه الخُطى

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بعد رحيل أبو الطيب المتنبي كانت هناك فئَة من الشعراء الذين اعترفوا له بالفضل، وبما قدم للشعر العربي من إرتقاء وسمو من خلال أبياته ومعانيه وكلماته وصوره وأخيلته التي كانت تتدفق في عذوبة وجزالة وشموخ وكبرياء فلم يكن الكل يكرهه أو يتمنى موته لأنه تفوق عليهم وحاز منزلة رفيعة لم يكن لأحد منهم أن يطول قامته أو حتى يتجاوز خطواته ومن ثم فقد كان وَقْع قتله فرحًا لشانئيه، وغمًا على قلوب محبيه.

وإذا كان المحب يرى دائمًا أفضل الصفات في محبوبه، ويتغاضى عن الصفات غير المرغوب فيها. فقد كان أحباء المتنبي يرون فيه أفضل الصفات وهذا ما جعل صديقه ابن جني يقول عندما سمع نبأ موته [1]:

غاضَ القريضُ وأَودت نضرةُ الأَدبِ ... وَصَوّحَتْ بَعْدَ رَي دَوْحَةُ الكتبِ

سلبت ثوبَ بهاءٍ كنت تلبسه ... كما تخطفت بالخطية.. السلبِ

كما حاول أبو القاسم المظفر بن على الطبسي في رثائه أن يرفع المتنبي فوق هامات الجميع وأن يؤكد على نُبوته الشعرية وأنه قد ظهرت معجزاته في تلك المعاني التي أتى بها ولم يسبقه إليها أحد حيث يقول:

لا رعى الله سربَ هذا الزمانِ ... إذ دهانا في مثل ذاك اللسانِ

ما رأى الناسُ ثانيّ.. المتنبي ... أي ثانٍ يُرى لبكر الزمانِ

كان من نفسه الكبيرة في جيشٍ ... وفي كبرياءِ ذى سلطانِ

هو في شعره نبي ولكن ... ظهرت معجزاته في المعاني

وقال ثابت الرقي موجهًا حديثه إلى الشاعر المسجي بتلك الأبيات التي تتضح بالألم وتفيض بالحسرة وترفع بنان الاستنكار لعضد الدولة الذي تهاون في حق الشاعر ولم يثأر لدمه من قاتله فيقول:

---

(١) المتنبي ماليء الدنيا وشاغل الناس د/ محمد التويخي (دار الكتب).

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ذقت الكريهة بغتة وفقدتها ... وكريه فقدك في الورى لا يُفْقَدُ
قل لي إن استطعت الخطاب فإنني ... حيثُ الفؤَاد إلى خطابك مكمدُ
اتركت بعدك شاعرًا والله لا ... لم يبق بعدك في الزمان مقصدُ
أما العلوم فإنها يا ربها ... تبكي عليك بأدمع ما تجمدُ
يا أيها الملك المؤيد دعوةً ... ممن حشاه بالأسى يتوقدُ
هذي بنو أَسدٍ بضيفك أوقعت ... وحوت عطاءَك إذا حواه الفرقدُ
فارعِ الزمام وكن لضيفك طالبًا ... إن الزمام على الكريم مؤيدُ
ارع الحقوق لقصده.. وقصيده ... عَضُد الملوك فليس غير مقصِدُ

كما رثاه محمد بن عبيد الله النصبي بقصيدة دامية باكية يلوح فيها لعضد الدولة ويستنفره للثأر من القتلة حيث يقول:

قرت عيون الأعادي يوم مصرعه ... وطالما سخنت فيه من الحسد
يا يوم صافية الكدراء قد كدرت ... مشاربي بعد مقتول بلا قود
أبا شجاع فتى الهيجا وفارسها ... ومشتوى الشكر بالإنفاق والصفد
هذي بنو أسد جاءت بمؤبدة ... صماءِ بائحة هدت ذرى أحد
سطت على المتنبي من فوارسها ... سبعون جاءَته في موج من الزَرَدِ
حتى أَتته وهوفي أَمنٍ وفي دعةٍ ... يَسيرُ في ستهِ إن تحص لم تزدِ
كرت عليه سراعًا غير واثبة ... فغادرته رهين الترب والتأَدِ
فاطلب بثأر فتى ما زلت تعضده ... لله درك من كهف ومن عَضدِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (١٣)

المتنبي

ينحل من معين ثقافته

وليس بسارق

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

• كتب «أبو سعد محمد بن أحمد العميدي «كتابة الإبانة عن سرقات المتنبي ولقد أجهد نفسه في هذا الموضوع بهدف النيل من تلك المكانة التي حققها المتنبي وما زالت أجيال اليوم تذكره بها اليوم وغدًا بصرف النظر عن تلك الطعنات التي تعرض لها وحاول البعض إذكاءَها بصورة شرسة حيث يقول:

«إني لأعجب والله من جماعة يغلون في ذكر المتنبي وأمره ويدعون الاعجاز في شعره ويدعون أن الأبيات المعروفة له هو مبتدعها ومخترعها ومحدثها ومنزعها، لم يسبق إلى معناها شاعر، ولم ينطق بأمثالها بادٍ ولا حاضر، وهؤلاء المتعصبون له (أي للمتنبي) المفتخرون باللمع التي يزعمون أنه استنبطها وأثارها والمعتدون بالفِقَرِ التي يدعون أنه افتض أبكارها، والمترنمون بأبيات سائرة يذكرون أنه انفرد بألفاظها ومعانيها وأغرب في أمثلتها ومبانيها».

وكيف لا يستحيون أن يقولوا بعصمته ويتهالكوا في الدلالة على حكمته وكيف يستجيزون لنفوسهم، ويستحسنون في عقولهم أن يشهدوا شهادة قاطعة بأنها له غير مأخوذة ولا مسروقة وأن طرائقها هو الذي ابتدأ بتوطئتها غير مسلوكة لغيره ولا مطروقة ؟ فليت شعري هل أحاطوا علمًا بنصف دواوين الشعراء الجاهلية والمخضرمين والمتقدمين والمحدثين فضلاً عن جميعها حتى يطلقوا القول غير محتشمين بأن المتنبي من بين أولئك الشعراء أبدع معاني لم يفطن لها سواه».

ثم يحاول بعد ذلك أن يخفف من غلوائه حتى لا يخسر هذه القطاعات الغفيرة العاشقة للمتنبي الشاعر المبدع حيث يقول:

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

«ولست - ويعلم الله - أجحد فضل المتنبي وجودة شعره وصفاء طبعه وحلاوة كلامه، وعذوبة ألفاظه ورشاقة نظمه».

إلا أنه يعاود الكرة من جديد بهجوم أشد ضراوة مما سبق حيث يقول : «ولا أرى أن أجعله وأبا تمام الذي كان رب المعاني، ومسلم بن الوليد وأشباههم في طبقة ولا ألحقه في عذوبة الألفاظ وسهولتها ورشاقة المعرض ومجانبة التصنع والتكلف بالبحتري، ولا أقيسه في امتداد النفس وعلم اللغة والامتداد على دروب الكلام وتصور المعاني العجيبة والتشبيهات الغريبة والحكم البارعة والآداب الواسعة بابن الرومي».

ثم يقول واصفًا إياه وملفتًا لنظر القارئ إلى عقيدة المتنبي «ولا أطعن أيضًا في دينه ونسبه ولا أذمه لاعتقاده ومذهبه - وكيف يسوغ لي أن أثلبه لالحاده أو أعيبه لسقوط أبائه وأجداده وأنا أتحقق أن أكثر من يستشهد بأشعارهم المشركون والكفار والمنافقون والفجار - والمتنبي كان يفتخر بأدبه لا بنسبه ويعتد بفضله لا بأهله، ويتطاول على أهل زمانه بفصاحة لسانه وبضرابه وطعانه، لا بتوحيده وإيمانه».

قبل أن نخوض في هذا السياق نتذكر بيت المتنبي:

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني إن النفيس غريب حيثما كانا

لقد سبق وأوضحنا أن ثقافة المتنبي أنست بالعديد من المعارف والعلوم وأن ثقافته كانت من أسرار عظمته كما عرف عنه تمكنه الفائق من اللغة التي اطلع فيها على غريب اللفظ وحوشى الكلام.

وهذا يدلنا دلالة قاطعة على أن شاعرًا بمثل قوة وفحولة المتنبي في جزالة اللفظ وانسياب المعاني وانتقاء الأفكار وتواردها لا يمكن أن يكون سارقًا أو يسمح لنفسه العالية باللجوء إلى التهافت على معاني وأفكار الآخرين أو

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

حتى يرزح تحت أكتاف غيره وإن ما يمكن أن نتقبله أن المتنبي وبكل تأكيد كان ينهل من معين ثقافته ومن مخزونها، فلا ضير أن يطور المتنبي أسلوب الآخرين أو يقيم المعوج منه ولا ضير إذن من أن يعلن على الملأ وبلا خوف:

الخيل والليلُ والبيداء تعرفني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

وإذا كان العميدي قد استدل على هذا بسرقات المتنبي:

من قول عمرو بن عروة بن العبد الكلبي:

أوضحت من طرق الأدب ما اشتكلت دهرًا وأظهرت أغرابًا وإبداعا

حتى فتحت باعداز خصصت به للعمي والصم أبصارًا وأسماعًا

وقال المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صممُ

ولنسأل أنفسنا هذا السؤال:

أيهما أوقع للنفس، وأيهما أشد سرعة ومساسًا للقلب وأيهما ينفذ إلى وجدان السامع وماذا تحفظ أجيال اليوم من الشاعرين؟

وهناك تساؤل آخر:

ما هو الموقف الذي قيلت فيه أبيات المتنبي؟

لقد كان المتنبي في موقف عتاب مع سيف الدولة، ويرد كيد الكائدين وكان يفند له الحجج ويقدم له البراهين على براعة شعره ومكانته ومن ثم فإننا نؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن بيت المتنبي أنفذ للقلب من أبيات عمر بن عروة وهذا ما يميز شعر المتنبي عمن سواه.

وقال أبو شردان:

عش بجهل تصبح وأنت غنيٌ أو بعقل تصبح وأنت فَقِيرُ

وقال المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخُ الجاهلة في الشقاوة ينعمُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

إنها مجرد توارد خواطر أو نزحًا من مخزون ثقافته التي جمعت شتى أنواع المعارف والفلسفات والأمثال والحكم وتجارب الأمم وما حوته بطون الكتب ودواين الشعراء وعلى الرغم من ذلك أيضًا نجد أن قول المتنبي: أوقع للسامع وأقرب للأذن والقلب.

وهناك الكثير من الأبيات التي حاول فيها حساد المتنبي النيل من مكانته وزحزحة صورته لدى محبيه وكيف ذلك وهو القائل:

أنا ترب الندى وربُ القوافي وسمام العدى وغيظ الحسودِ

وعلى الرغم من الاسراف في هذا القول فإننا نوافق الدكتور محمد التونجي فيما ذهب إليه في كتابه (المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس) بقوله:

"أنه «أي المتنبي «نهل من معين ثقافته ومطالعاته العربية والمترجمة غير أنه كساها حلة جذابة قشيبة وصاغها بقالب أخمد فيه قول الآخرين - وأنس الناس قول بعض الشعراء بشهرة أقواله - وهذا دليل على أن المعنى يفقد بريقه إذا لم يهيأ له الجو المناسب من الأسلوب والعرض ولم يضره أن اقتبس ونهل كما لم يؤثر قول حساده في هذا الموضوع لأنهم كما قال القائل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

ومما سبق فإننا نرى أنه من يريد النيل من ذلك الرمز الشعري الخالد كأنما يريد أن ينتزع جبل من مكانه أو يطاول أجواز الفضاء ببنانه، ولكن هيهات أن يتحقق له ذلك.

فالمتنبي الشاعر العملاق الطموح بمكانته وأدبه وعلمه وفكره وأسلوبه المميز ومقدرته على اجتياز حدود المعاني واقتناص أفضلها استطاع أن يؤرخ لنفسه تاريخًا فريدًا في أدبنا العربي المعاصر، ومهما حاول البعض النيل منه فإنه وبكل تأكيد قد ارتقى ذروة المجد وتربع عليها وكان يشعر في أعماق ذاته أنه سيأتي من بعده من يحاول زحزحته عن هذه المكانة فقال:

www.al-maktabeh.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

إذا غـامـرت في شـرفٍ مـرومِ ... فـلا تقنع بما دون النجـومِ

فطعم الموت في أمـرٍ حـقـيـرٍ ... كطعم الموتِ في أمـرٍ عظيمِ

إلى أن يصل إلى قوله:

وكم من عـائب قـولاً صـحـيـحًا ... وآفـتـه من الفـهم السـقـيمِ

ولـكـن تـأخـذ الآذان مـنـه ... على قـدر القـرائح والعلومِ

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (١٤)

المتنبي شاعر الحكمة والفلسفة والعقل والمنطق والمثل

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

إن هذا الشعر في الشعر مَلك ... سار فهو الشمس والدنيا فلك

حكم الرحمن فيه بيننا ... فقضى باللفظ لي والحمد.. لك

فإذا مر بأذني حاسدٌ ... صار ممن كان حيا.. فهلك

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

لم يكن المتنبي الشاعر العملاق الذي ملأ الدنيا بأشعاره شاعرًا عاديًا وإنما هو شاعر يعشق فلسفة القوة ويبحث عن أغوارها ليتدثر بردائها حيث يقول:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرًا أصبح الدهرُ منشدًا

وكيف لا وهو الباحث عن اسمه الذي ظل طوال حياته يجاهد من أجل أن يضع له مكانة خالدة بين الناس حيث يقول:

وتركت في الدنيا دويًا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشرُ

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكرُ

إن المتنبي يمجد فلسفة القوة ويدعو إليها لكنه في نفس الوقت يؤكد على قوة الحكيم حيث يقول:

وكل شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم

وفي إحدى القصائد التي مدح فيها المتنبي سيف الدولة الحمداني وهو منصرف من بلاد الروم في شهر صفر سنة خمس وأربعين وثلاث مئة.

حيث اتجه إلى فلسفة العقل التي تُحبذ الرأي على القوة لأن العقل قبل الشجاعة ونظرة العاقل للأمور أوقع لهذا فإنه إذا اجتمعت مع العاقل القوة يستطيع أن يبلغ أقصى الغايات ويحقق الأهداف السامية حيث يقول:

الرأي قبل شجاعة الشجعانِ هو أول وهي المحلُ الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرةٍ بلغت من العلياءِ كل مكانِ

ولربما طعن الفتى أقرانه.. بالرأي قبل تطاعن الأقرانِ

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شَرَفٍ من الإنسانِ

ولما تفاضلت النفوس ودبرت أيدي الكماة عوالي المرانِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

لولا سمىُ سيوفه ومضاؤه لما سلُلن لكن كالأجفانِ

والمتنبي إذا جنح لمجد فليس هناك حد يحده أو عثرة تقف في طريقه حيث يقول:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر عظيم كطعم الموت في أمرٍ عظيم

ثم يقول في نفس القصيدة ساخرًا من هؤلاء الذين يعدون العجز من جملة العقل:

يرى الجبناءَ أن العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكل شجاعة في المرءِ تغنى ولا مثل الشجاعة في الحكيم

وكم من عائب قولاً صحيحًا وافته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الأذان منه على قدر القرائح والعلوم

وإذا كان المتنبي يعشق فلسفة القوة ويحذو حذوها إلا أنه أيضًا يؤمن بالقدر حيث يقول في إحدى القصائد التي قالها حينما علم بأن قومًا نعوه في مجلس سيف الدولة فقال:

بما التعلل لا أهل ولا وطنُ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

أريدُ من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمنُ

إلى أن يقول:

ما كل ما يتمنى المرءُ يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

وحينما يتحدث المتنبي عن الحياة والموت فإننا نلحظ لونًا آخر لفيلسوف اعتصرته السنوات وألقت فوق ظلاله تلك الرؤى من خلال قصيدة يرثى فيها والدة سيف الدولة الحمداني ويعزيه في فقدها سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة حيث يقول:

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

نَعُـد المشـرفـيـة والعـوالي ... وتقـتـلنا المنونُ بلا قـتـالِ
وترتبط السـوابق مـقـربات ... ومـا ينجين من خـببِ الليـالي
ومن لم يعـشق الدنيـا قـديمًا ... ولكن لا سـبـيلَ إلى الوصـالِ
نصيبك في حياتك من حبيبٍ ... نصـيـبك في منامك من خـيـالِ
رمـاني الدهر بالأرزاء حـتى ... فـؤَادي في غـشـاءٍ من نبـالِ
فـصـرت إذا أصـابتني سـهـامٌ ... تكسـرت النصـالُ على النصـالِ
وهانَ فـمـا أبـالي بالرزايا ... لأني مـا انتـفـعتُ بأن أبالي

ثم يصل إلى قوله:

يدفن بعـضنا بعـضًا وتمشي ... أواخـرنا عـلى هـامِ الأوالـي
وكم عين مـقـبلةِ النواحي ... كـحـيلٌ بالجنادلِ والرمـالِ (١)

ويتحدث المتنبي عن الدنيا بعين الشاعر الفيلسوف حيث يقول:

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت ... على عينيه حتى يرى صدقها كذبا
وكيف التداوي بالأصائل والضحى ... إذا لم يَعدُ ذلك النسيم الذي هبا

وإذا كانت الدنيا بهذه الصورة التي عليها فلماذا يتهالك الناس على ودها بشتى الطرق والوسائل حتى وإن كانت بغير السبل المشروعة فيقول:

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه ... حريصًا عليها مستهامًا بها صبا
فحب الجبان النفس أورده البقا ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد ... إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

وقد أكد المتنبي على هذا المعنى في قصيدة أخرى حينما يرى أن الناس يتهافتون على الدنيا بكل غال ورخيص ولكن هل يحصلون على شيء:

فـذى الدار أخـون من مـومس ... وأخـدع من كـفـة الحـابل
تفـاني الرجـالُ على حـبـهـا.. ... ومـا يحـصلون على طائلِ

---

(١) كحيل: مكحولة، الجنادل: الحجارة، يقول المتنبي: كم عين كانت تقبل إكراماً فصارت تحت الأرض مكحولة.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وفي قصيدة أخرى يرثي فيها (أبا الهيجاء) عبد الله بن سيف الدولة بحلب وقد توفى سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئَة حيث بدأ القصيدة بتلك الرؤية التي تعبر عن تأملاته تجاه الموت حيث يقول:

بنا منك فوق الرمل ما بكَ في الرملِ وهذا الذي يضني كذاك الذي يُبلي

أي إن حزننا عليك لا يفترق عن الموت لأن الحزن الذي يضني صاحبه يكون مثل الموت الذي يُبلي ويفت في الجسد.

وفي نفس القصيدة يقول المتنبي:

أنبكي لموتنا على غير رغبة تفوت من الدنيا ولا موهبٍ جَزْلِ

إذا ما تأَملتَ الزمان وصرفه تيقنت أن الموت ضربٌ من القتلِ

وما الدهر أَهلٌ أن تؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسلِ

إن المتنبي حينما يتحدث عن الموت فإنما يأخذنا إلى ما لابد منه لذا فإنه يقول:

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يُلاقي الهوانا

ولو أن الحياة تبقى.. لحيٍّ لعددنا أضلنا الشجعانا

وإذا لم يكن من الموت بدٌ فمن العجز أن تكون جبانا

ورأيه في الموت هو الواقع الذي لا مفر منه لأنه ليس في هذه الحياة مخلد وكل من يطمح إلى ذلك سيصدمه بالواقع حينما يتيقن أن الفناء لابد منه.

ولما مات عبد سيف الدولة «يماك «كشف المتنبي عن وجهة نظره في الموت حيث يقول:

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا وأعيا دواءُ الموت كل طبيبِ

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئةٍ وذهوبِ

تملكها الآتي تملك سالبٍ وفارقها الماضي فراق سليبِ

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاءُ شعوبِ(١)

(١) شعوب: علم المنية أي الموت.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ويضع أبو الطيب المتنبي خلاصة تجاربه في الحياة من خلال رأي عام حينما توفيت أخت سيف الدولة الحمداني وقد قال يرثيها ويعزيه سنة إثنتين وخمسين وثلاث مئة هجرية:

غدرت يا موتُ كم أفنيت من عدد ... بمن أَصبت وكمن اسكت من لجُبِ

إلى أن يصل إلى قوله:

وما قضى أحدٌ مناه لبانته ... ولا انتهى أرب إلا إلى أَربِ

إلى أن يصل لقوله:

تخالفَ الناس حتى لا إتفاق لهم ... إلا على شجبٍ والخلف في الشجبِ

فقيل تخلص نفس المرء سالمةً ... وقيل تشرك جسم المرءِ في العطبِ

ثم يضعنا المتنبي أمام حقيقة هامة:

ومن تفكر في الدنيا ومهجته ... أقامه الفكر بين العجز التعبِ

وحينما يتحدث عن الأخلاق (فإن نظرته إلى الأخلاق تشاؤمية وهو لا يرى في الناس صاحب أخلاق وكلهم خداعون) [1]:

ولا تشكّ إلى خلقٍ فتشمته ... شكوى الجريح إلى الغربان والرخمِ

وكن على حذرٍ للناس تستره ... ولا يغرنك منهم ثغر مبتسمِ

غاض الوفاء فما تلقاه في عدةٍ ... وأعوز الصدق في الإخبار والقسمِ

وقد تحدث المتنبي عن الأخلاق في الكثير من المواضع في قصائده منها أبيات في القصيدة التي مدح بها كافور عندما رحل عن سيف الدولة ودخل مصر فقال:

وللنفس أخلاق تدلُ على الفتى ... أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا

أقل اشتياقًا أيها القلب ربما ... رأيتك تصفى الودَ من ليس صافيا

خلقتُ ألوفًا لو رجعت إلى الصبى ... لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

---

(١) المتنبي ماليء الدنيا وشاغل الناس للدكتور / محمد التويخي ص ٢٢٨.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ويرى المتنبي أن من يكرم الكريم لا يعدم جوازيه لكن من يكرم اللئيم يتمرد عليه فيقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

إن هذه النظرة التي نظر بها المتنبي إلى مجتمعه ناجمة عن تلك الصورة التي انطبعت في وجدانه منذ أن كان أبوه سقاءً يتنقل بين البوادي يسقي الماء لأهل المحلة فلم يجد الصديق الصدوق ولم يجد الخل المنصف ولم يجد الإنسان الذي يحقق له رغبته في الحياة ولعله سعى وبذل غاية جهده إلا أنه كان يخفق في في النهاية، وتجارب الإنسان بكل تأكيد تكون صورة صادقة عن رؤيته للحياة وللناس وللمجتمع الذي يعيش فيه.

وحينما يتحدث أحد علماء الاجتماع عن الثقافة فيقول:

هي ذلك الكل المركب المشتمل على المعرفة والفن والعادات والتقاليد وأي قدرات يكتسبها الإنسان بصفته عضوًا في مجتمع ما».

نجد أن هذا التعريف ينطبق على أحوالنا وحياتنا وثقافاتنا والمتنبي كان على دراية تامة بأحوال مجتمعه وناسه إلا أن ضعته في نسبه جعلت منه قدرًا يتفوق على أقرانه بمعارفه وعلومه وما اكتسبه من مجتمعه من تراث وثقافات.

• أمثال وحكم المتنبي:

❖ صداقة الأعداء:

يرى المتنبي أن من نوائب الدنيا على الحر أن يصاحب أعداءه وليس من صداقتهم مفر حيث يقول:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًا له ما من صداقته بُدُ

❖ الحسن المجلوب والمطبوع:

يفرق المتنبي بين حسن الحضارة وحسن البداوة لا سيما وأن حسن الحضريات مجلوب بالتمويه أما حسن البدويات فقد طبعن عليه فيقول:

حُسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسنٌ غير مجلوبِ

www.akotob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **حاجة الحي لا تنقضي:**

يرى المتنبي أن الإنسان مادام معمرًا في الحياة فإنه يكون دائمًا في حاجة ملحة إلى المزيد ولكن متى تنقضي جميع حاجاته - إذا وافته منيته:

تموت مع المرءِ حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى

❖ **عداوة الدنيا:**

ولأنه كان ينظر بمنظار الشك والريبة لاسيما في أصدقائه فقد عبر عن ذلك أصدق تعبير فصدق الدنيا كذب وأمانيها خادعة لذا فإننا نراه يقول:

إذا إمتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوٍ في ثياب صديق

❖ **الشجاع لا تعوقه الظلمات:**

يرى المتنبي أن من كانت جدوده الأسود التي تعودت على أكل اللحوم فإن الظلمة لا تعوقه بأي حالٍ من الأحوال عن إدراك ما يريد:

ومن تكن الأسد الضواري جدوده يكن ليله صبحًا ومطعمه غصبا

❖ **الجاهل يحسد العاقل:**

في أحيانٍ كثيرة يتألم الإنسان ويبكي في أعماقه دون أن يكشف عن خفاياه إلا أن أترابه يحسدونه على ذلك لكن المتنبي يعبر بحسه الصادق عن هذه الرؤية فيقول:

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبها أني بما أنا باكٍ من محسودُ

❖ **مؤاخاة العبد:**

وينظر أبو الطيب المتنبي إلى التآخي نظرة قائمة على التساوي والتعادل في كل شيء أما إذا آخى الإنسان العبد فطبعه يغلب على تطبعه فيقول :

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

العبدُ ليس لحر صالح بأخٍ لو أنه في ثيابِ الحرِ مولودُ
لا تشترِ العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ

❖ الدخيل في الملك:

يسخر المتنبي من العبد (كافور) لأنه من أين تأتيه المكارم وهو وضيع الحسب مجهول النسب فيقول:

من علم الأسودَ المخصي مكرمة أقومه البيض أم أباؤه الصيدُ

❖ غرور الحياة:

حيث يرى أن الدنيا تغر بالناس ولا يدرك هذا الأمر إلا كل من سبر أغوار الحياة بعلمه وخبرته فيقول:

إني لأَعلم واللبيب خبيرُ أَنَ الحياةَ وإن حرصتُ غرورُ

❖ العظيم يصبر على الأمر العظيم:

إن الأمر العظيم والخطب الجلل لا يمكن أن يتحمله الإنسان العادي وإنما يتحمل هذا الأمر من هو أهل له فيقول مشاركًا بني عم محمد بن اسحق التونخي العزاء:

صبرًا بني اسحق عنه تكرمًا إن العظيم على العظيم صبورُ

❖ الحياة الحقيقية:

إن الموت في ساحة القتال غاية المقاصد لأن الحياة الحقيقية تكون فيما تشتهي النفس:

فموتي في الوغى أربي لأني رأيتُ العيش في أربِ النفوسِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **خير الشعر وشره:**

يرى أبو الطيب المتنبي أن خير الشعر ما يمدح به الملوك فهو كالطير النفيس، وشر الشعر ما يمدح به اللئام والسوقه:

خير الطيور على القصور وشرُّها يأوي الخرابَ ويسكن الناووسا

❖ **حسن الشمائل:**

إن الحسن لا يعد في وجه الفتى شرفًا له وإنما الحسن في أخلاقه وشمائله:

وما الحسن في وجه الفتى شرفًا له إذا لم يكن في فعله والخلائقُ

❖ **ذلة الحلم:**

الحلم أن يسكن الإنسان ويستأنس عند الغضب ولكن المتنبي يرى أن للحلم موضعه حتى لا يوضع في غير مكانه فيصبح جهلاً:

إذا قيلَ رفقًا قال للحلم موضعٌ وحلم الفتى في غير موضعه جَهْلُ

❖ **الحسن الفاسد:**

إن النفس الكريمة ترى الأشياءَ كريمة أما النفس المريضة تجد المرارة في كل شيء مثل من يكن فمه مريض ومر فإنه يجد طعم الماء الزلال مرًا في فيه:

ومن يكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مريضٍ يجد مرًا به الماءَ الزلالا

❖ **مذمة الناقص:**

إن المتنبي يرى أن المذمة إذا جاءت من إنسان ناقص فهي دليل على كمال وفضل المذموم في حقه حيث يقول :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كاملُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **هبة السيادة:**

الكل يسعى إلى طلب المجد ويحرص عليه الكثيرون ولكن ليس كل الرجال أبطالاً لأن البطولة من هباتِ الله يختص بها من يشاء:

ما كل من طلب المعالي نافذاً فيها ولا كل الرجالِ فحولا

❖ **قبول المذلة:**

إن من يتقبل الإهانة ويرضى بها كان كمثل الميت الذي لا يتألم إذا جرح:

مَن يَهُن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميتِ إيلامُ

❖ **الشرف الرفيع:**

يرى المتنبي أن الشرف الرفيع يكون عرضه لأذى الحساد والأعداء ولكن إذا أُريقت من أجله الدماء فإنه يصبح مهيبًا فيقول:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدمُ

❖ **الهمة وعظمة النفوس:**

إذا كانت همة المرء عظيمة فإن الجسم يتعب في تحصيل مرادها لاسيما وأنها تتعب الجسم في طلب معالي الأمور يقول المتنبي:

إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادا الأجسام

يقول العكبري:

إن بيت المتنبي مأخوذ معناه من كلام أرسطو حيث يقول : «إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة».

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **الفتح الجليل:**

إن من يريد السعي إلى إحراز النصر الكبير فعليه أن يتسلح بمفاتيح النصر وهي السيوف البتارة، يقول المتنبي:

ومن طلب الفتح الجليل فإنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارمُ

❖ **شر البلاد:**

يأخذنا المتنبي إلى واقع مؤلم من خلال تلك البلاد التي تفرض على الإنسان وليس له بها صديق يؤنسه فيقول:

شر البلاد بلادٌ لا صديق بها وشرُ ما يكسبُ الإنسان ما يَصِمُ

❖ **لذة الذل والإهانة:**

إن شموخ المتنبي يدفعه إلى أن يعلنها صراحة بعدم استطاعته المقام بمكان رغد العيش ما لم يكن يعرف قدره ومنزلته أحد:

وما منزلُ اللذاتِ عندي بمنزلٍ إذا لم أُبجل عنده وأكرمُ

❖ **الإحسان بالإساءة:**

قال تعالى : «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن بالأذى».

أخذ المتنبي هذا المعنى بقوله:

إذا الجود لم يرزق خلاصًا من الأذى فلا الحمد مكسوبًا ولا المالُ باقيا

❖ **الفقر:**

قال أرسطو:

«من أفنى مدته في جمع المال فقد أودى بنفسه إلى الفقر».

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وقال المتنبي حول هذا المعنى:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فَعَل الفقرُ

❖ من يلبس غير ثيابه:

هناك الكثيرون من البشر يعيشون حياة لا تتناسب مع أوضاعهم ولا أحوالهم ومن ثم لا يكونوا أهلاً لهذا العمل أو ذاك ولكنهم يحاولون ومن ثُم يقول المتنبي:

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يُلائمه

❖ ليس كل ذي مخلب سبع:

يرى المتنبي أن السلاح تحمله جميع الناس وفي إمكان أي إنسان أن يفعل ذلك ولكن من ذا الذي يستطيع حمل هذا السلاح واستخدامه للفروسية؟

وكما أنه ليس كل من له مخلب بسبع:!! إذن فليس كل دَارعٍ بفارس

إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذواتِ المخلبِ السبعُ

❖ ماضي الشباب ليس بآت:

ترى هل يمكن أن تعود الأيام إلى الوراء وهل يمكن أن يرجع الشيب إلى ما ما كان عليه يقول المتنبي:

وما مضى الشباب بمستردٍ ولا يومٌ يَمرُ بمستعادِ

متى لحظت بياض الشيب عيني فقد وجدته منها في السوادِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

❖ **طموحات بلا مواهب:**

يسوق المتنبي هذا المعنى للذين يحاولون تحقيق أحلامهم دون أن تكون لديهم تلك المواهب والقدرات التي تؤهلهم إلى تحقيق أهدافهم فيقول :

كل حلم أتي بغير اقتدار حجة لاجيء إليها اللئام

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت .. إيلام

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

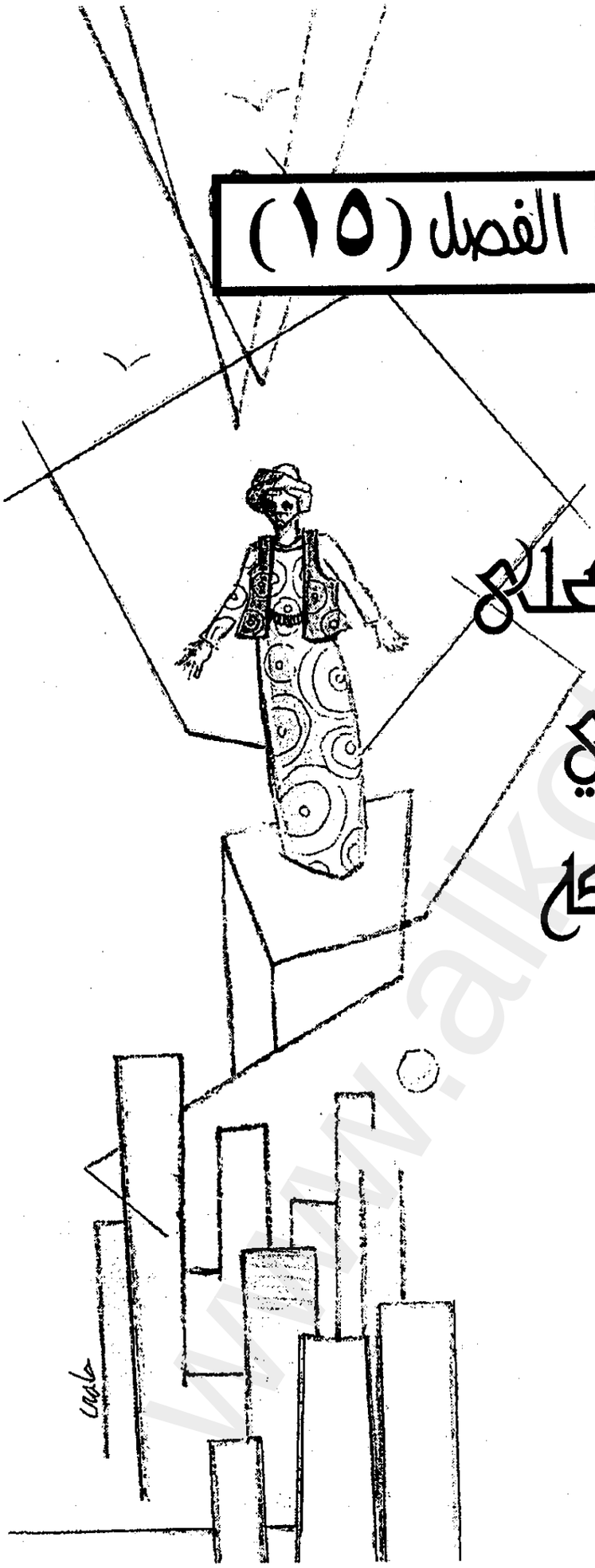

الفصل (١٥)

قصائد تؤكد على ثقافة المتنبي وسعة مداركه

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وإنه المشير عليك في بضلة ... فالحر ممتحن بأولاد الزنا

وإذا الفتاة طرح الكلام معرضًا ... في مجلس أخذ الكلام الذعنا

ومكايد السفهاء واقعة ... وعداوة الشعراء بئس المقتنى

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

غريب كصالح في ثمود

كم قتيل كما قتلت شهيد ... لبياض الطُلى وورد الخدودِ
وعيون المها ولا كعيونَ ... فتكت بالمتيم المعمودِ
در در الصباء أيام تجري ... ر ذيولي بدار أثلة عودي
عمرك الله ! هل رأيت بدوراً ... طلعت في براقع وعقودِ
راميات بأسهم ريشُها الهد ... ب تُشق القلوب قبل الجلودِ
يترشفن من فمي رشفات ... هن فيه أحلى من التوحيدِ
كل خمصانة أرق من الخم ... ر بقلب أقسى من الجلمودِ
ذات فرع كأنما ضرب العنـ ... ـبر فيه بماء ورد وعودِ
حالك كالغداف جثل دجو ... جي أثيث جعد بلا تجعيدِ
تحمل المسك عن غدائرها الري ... ح وتفتر عن شنيب برودِ
جمعت بين جسم أحمد والسق ... م وبين الجفون والتسهيدِ
هذه مهجتي لديك لحيني ... فانقصي من عذابها أو فزيدي
أهل ما بي من الضنى بطل صيـ ... ـد بتصفيف طرة وبجيدِ
كل شيء من الدماء حرام ... شربه ما خلا ابنة العنقودِ
فاسقنيها فدى لعينيك نفسي ... من غزال وطارفي وتليدي
شيب رأسي وذلتي ونحولي ... ودموعي على هواك شهودي
أي يوم سررتني بوصال ... لم ترعني ثلاثة بصدودِ
ما مقامي بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهودِ
مفرشي صهوة الحصان ولكـ ... ـن قميصي مسرودة من حديدِ
لأمة فاضة أضاة دلاصٌ ... أحكمت نسجها يدا داودِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أين فضلي إذا قنعت من الدهر ... بعيش معجل التنكيدِ

ضاق صدري وطال في طلب الرز ... ق قيامي وقل عنه قعودي

أبداً أقطع البلاد ونجمي ... في نحوس وهمتي في سعودِ

ولعلي مؤمل بعض ما أبـ ... لغ باللطف من عزيز حميدِ

لسري لباسه خشن القطـ ... ـن ومروي مرو لبس القرودِ

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنودِ

فرؤوس الرماح أذهب للغيـ ... ـظ وأشفى لغل صدر الحقودِ

لا كما قد حييت غير حميد ... وإذا مت مت غير فقيدِ

فاطلب العز في لظى ودع الذ ... ل ولو كان في جنان الخلودِ

يقتل العاجز الجبان وقد يعـ ... ـجز عن قطع بخنق المولودِ

ويوقي الفتى المخش وقد خو ... ض في ماء لبة الصنديدِ

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي

وبهم فخر كل من نطق الضا ... د وعوذ الجاني وغوث الطريدِ

إن أكن معجباً فعجبٌ عجيبٌ ... لم يجد فوق نفسه من مزيدِ

أنا ترب الندى ورب القوافي ... وسمام العدي وغيظ الحسودِ

أنا في أمة تداركها اللـ ... ـه غريبٌ كصالح في ثمودِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كبرت حول ديارهم

قال يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد ابن أوس بن معن بن الرضي الأزدي

أرق على أرق ومثلي يأرقُ ... وجوى يزيد وعبرة تترقرقُ

جهد الصبابة أن تكون كما أرى ... عين مسهدة وقلب يخفقُ

ما لاح برق أو ترنم طائر ... إلا انثنيت ولي فؤاد شيقُ

جربت من نار الهوى ما تنطفي ... نار الغضا وتكل عما يحرقُ

وعذلت أهل العشق حتى ذقته ... فعجبت كيف يموت من لا يَعشقُ

وعذرتهم وعرفت ذنبي أنني ... عيرتهم فلقيت منهم ما لقوا

أبني أبينا نحن أهل منازل ... أبداً غراب البين فيها ينعقُ

نبكي على الدنيا وما من معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

أين الأكاسرة الجبابرة الألى ... كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا

من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواه لحد ضيقُ

خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا ... أن الكلام لهم حلال مطلقُ

فالموت آت والنفوس نفائسٌ ... والمستعز بما لديه الأحمقُ

والمرءُ يأمل والحياة شهية ... والشيب أوقر والشبيبة أنزقُ

ولقد بكيت على الشباب ولمتي ... مسودة ولماء وجهي رونقُ

حذراً عليه قبل يوم فراقه ... حتى لكدت بماء جفني أشرقُ

أما بنو أوس بن معن بن الرضي ... فأعز من تحدى إليه الأينقُ

كبرت حول ديارهم لما بدت ... منها الشموس وليس فيها المشرقُ

وعجبت من أرض سحاب أكفهم ... من فوقها وصخورها لا تورقُ

وتفوح من طيب الثناء روائح ... لهم بكل مكانة تستنشقُ

مسكية النفحات إلا أنها ... وحشية بسواهم لا تعبقُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أمريد مثل محمد في عصرنا ... لا تبلُنا بطلاب ما لا يلحقُ

لم يخلق الرحمن مثل محمد ... أحداً وظني أنه لا يخلقُ

يا ذا الذي يهب الكثير وعنده ... أني عليه بأخذه أتصدقُ

أمطر علي سحاب جودك ثرة ... وانظر إلي برحمة لا أغرقُ

كذب ابن فاعلة يقول بجهله ... مات الكرام وأنت حي يرزقُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

هجت رسيسا

يمدح محمد بن زريق الطرسوسي

هذه برزت لنا فهجت رسيسا ... ثم انثنيت ما شفيت نسيسا (١)

وجعلت حظي منك حظي في الكرى ... وتركتني للفرقدين جليساً

قطعتَ ذياك الخُمارَ بِسَكرةٍ ... وأدرت من خمر الفراق كؤوسا

إن كنت ظاعنةً فإن مدامعي ... تكفي مزادكم وتروي العيسا

حاشى لمثلك أن تكون بخيلة ... ولمثل وجهك أن يكون عبوساً

ولمثل وصلك أن يكون ممنعاً ... ولمثل نيلك أن يكون خسيسا

خود جنت بيني وبين عواذ لي ... حرباً وغادرت الفؤاد وطيسا

بيضاء يُمنعها تكلّم دَلُّها ... تيها ويمنعها الحياءُ تميسا

لما وجدت دواء دائي عندها ... هانت علي صفات جالينوسا (٢)

أبقى زريق لُلثغور محمداً ... أبقى نفيس للنفيس نفيساً

إن حل فارقت الخزائن ماله ... أو سار فارقت الجسوم الروسا

ملك إذا عاديت نفسك عاده ... ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا

الخائض الغمرات غير مدافع ... والشمري المطعن الدعيسا

كشفت جمهرة العباد فلم أجد ... إلا مسوداً جنبه مرؤوسا

بشر تصور غاية في آية ... تنفي الظنون وتفسد التقييسا

وبه يضن على البرية لا بها ... وعليه منها لا عليها يوسى

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه ... لما أتى الظلمات صرن شموسا

أو كان صادف رأس عازر سيفه ... في يوم معركة لأعيا عيسى

---

(١) الرسيس: ابتداء الحب، النسيس: بقية الروح.

(٢) جالينوس: الطبيب المشهور والمراد بصفاته ما وصفه من الأدوية.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أو كان لج البحر مثل يمينه ... ما انشق حتى جاز فيه موسى

أو كان للنيران ضوء جبينه ... عُبِدَت فكان العالمون مجوسا

لما سمعت به سمعت بواحد ... ورأيته فرأيت منه خميسا

ولحظت أنمله فسلن مواهباً ... ولمست منصله فسال نفوسا

يا من نلوذ من الزمان بظله ... أبداً ونطرد باسمه إبليسا

صدق المخبر عنك دونك وصفةٌ ... من في العراق يراك في طرسوسا

بلد أقمت به وذكرك سائر ... يشنا المقيل ويكره التعريسا

فإذا طلبت فريسة فارقته ... وإذا خدرت تخذته عريساً

إني نثرت عليك دراً فانتقد ... كثر المدنس فاحذر التدليسا

حجبتها عن أهل إنطاكية ... وجلوتها لك فاجتليت عروسا

خير الطيور علي القصور وشرها ... يأوي الخراب ويسكن الناووسا

لو جادت الدنيا فدتك بأهلها ... أو جهادت كتبت عليك حبيسا

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كن كالموت لا يرثى لباكِ

يمدح علي بن إبراهيم التنوخي

أحاد أم سداس في أحاد ... ليلتنا المنوطة بالتنادي

كأن بنات نعش في دجاها ... خرائد سافرات في حداد (١)

أفكر في معاقرة المنايا ... وقود الخيل مشرفة الهوادي

زعيم للقنا الخطي عزمي ... بسفك دم الحواضر والبوادي (٢)

إلى كم ذا التخلف والتواني ... وكم هذا التمادي في التمادي

وشغل النفس عن طلب المعالي ... ببيع الشعر في سوق الكساد

وما ماضي الشباب بمسترد ... ولا يوم يمر بمستعاد

متى لحظت بياض الشيب عيني ... فقد وجدته منها في السواد

متى ما ازددت من بعد التناهي ... فقد وقع انتقاصي في ازديادي

أأرضى أن أعيش ولا أكافي ... على ما للأمير من الأيادي

جزى الله المسير إليه خيراً ... وإن ترك المطايا كالمزاد

فلم تلق ابن إبراهيم عنسي ... وفيها قوت يوم للقراد (٣)

ألم يك بيننا بلد بعيد ... فصير طوله عرض النجاد

وأبعد بعدنا بعد التداني ... وقرب قربنا قرب البعاد

فلما جئته أعلى محلي ... وأجلسني على السبع الشداد

تهلل قبل تسليمي عليه ... وألقى ما له قبل الوساد

نلومك يا علي لغير ذنب ... لأنك قد زَريْتُ علي العباد

---

(١) بنات نعش: كواكب معروفة.

(٢) الخطى: المسنوب لخط هجر وهو موضع باليمامة.

(٣) القراد: دويبة تتعلق بالبعير وهي كالقمل للإنسان.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وأنك لا تجود علي جواد ... هباتك أن يلقب بالجواد

كأن سخاءك الإسلام تخشى ... إذا ما حُلت عاقبة ارتداد

كأن الهام في الهيجا عيون ... وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صُغْتَ الأسنة من هموم ... فما يخطرن إلا في الفؤاد

ويوم جلبتها شعث النواصي ... معقدة السباسب للطراد (١)

وحام بها الهلاك على أناس ... لهم باللاذقية بغي عاد

فكان الغرب بحراً من مياه ... وكان الشرق بحراً من جياد

وقد خفقت لك الرايات فيه ... فظل يموج بالبيض الحداد

لقوك بأكبد الإبل الأبايا ... فسقتهم وحد السيف حاد

وقد مزقت ثوب الغي عنهم ... وقد ألبستهم ثوب الرشاد

فما تركوا الإمارة لاختيار ... ولا انتحلوا ودادك من وداد

ولا استفلوا لزهد في التعالي ... ولا انقادوا سروراً بانقياد (٢)

ولكن هب خوفك في حشاهم ... هبوب الريح في رجل الجراد

وماتوا قبل موتهم فلما ... مننت أعدتهم قبل المعاد

غمدت صوارما لو لم يتوبوا ... محوتهم بها محو المداد

وما الغضب الطريف وإن تقوى ... بمنتصف من الكرم التلاد

فلا تغررك ألسنة موال ... تقلبهن أفئدة أعادي

وكن كالموت لا يَرْثي لباك ... بكى منه ويروى وهو صاد

---

(١) السباسب: شعر العرف والذنب للخيل.

(٢) استفلوا: انحطوا.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

فإن الجرح ينفِرُ بعد حين ... إذا كان البناء على فساد

وإن الماء يجري من جماد ... وإن النار تخرج من زناد

وكيف يبيت مضجعاً جبان ... فرشت لجنبه شوك القتاد

يرى في النوم رمحك في كُلاه ... ويخشى أن يراه في السهاد

أشرت أبا الحسين بمدح قوم ... نزلت بهم فسرت بغير زاد

وظنوني مدحتهم قديماً ... وأنت بما مدحتهم مرادي

وإني عنك بعد غد لغاد ... وقلبي عن فنائك غير غاد

محبك حيثما اتجهت ركابي ... وضيفك حيث كنت من البلاد

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وعقاب لبنان

يمدح أبا هارون بن عبدالعزيز الأوراجي الكاتب

أمن ازديارك في الدجى الرقباءُ ... إذ حيث كنت من الظلام ضياءُ

قلق المليحة وهي مسك هتكها ... ومسيرها في الليل وهي ذكاءُ

أسفي علي أسفي الذي دلهتني ... عن علمه فبه علي خفاءُ

وشكيتي فقد السقام لأنه ... قد كان لما كان لي أعضاءُ

مثلت عينك في حشاي جراحة ... فتشابها كلتاهما نجلاءُ

نفذت علي السابري وربما ... تندق فيه الصعدة السمراءُ(١)

أنا صخرةُ الوادي إذا ما زوحمت ... وإذا نطقت فإنني الجوزاءُ

وإذا خفيت على الغبي فعاذر ... أن لا تراني مقلة عمياءُ

شيم الليالي أن تشكك ناقتي ... صدري بها أفضى أم البيداءُ

فتبيت تسئد مسئداً في نيها ... إسآدها في المهمه الإنضاءُ(٢)

بيني وبين أبي علي مثله ... شم الجبال ومثلهن رجاءُ

وعقاب لبنان وكيف بقطعها ... وهو الشتاء وصيفهن شتاءُ

لبس الثلوج بها علي مسالكي ... فكأنها ببياضها سوداءُ

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة ... سال النضار بها وقام الماءُ

جمد القطار ولو رأته كما ترى ... بهتت فلم تتبجس الأنواءُ

في خطه من كل قلب شهوة ... حتى كأن مداده الأهواءُ

ولكل عين قرة في قربه ... حتي كأن مغيبه الأقذاءُ

من يهتدي في الفعل ما لا تهتدي ... في القول حتى يفعل الشعراءُ

---

(١) السابري: الدرع.

(٢) تسئد: تسير الليل كله، ومسئداً: حال من الفعل تسئد.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

في كل يوم للقوافي جولة ... في قلبه ولأذنه إصغاءُ
وإغارة في ما احتواه كأنما ... في كل بيت فيلق شهباءُ
من يظلم الؤماء في تكليفهم ... أن يصبحوا وهم له أكفاءُ
وندیمهم وبهم عرفنا فضله ... وبضدها تتبين الأشياءُ
من نفعه في أن يهاج وضره ... في تركه لو تفطن الأعداءُ
فالسلم يكسر من جناحي ماله ... بنواله ما تجبر الهيجاءُ
يعطي فتعطى من لهى يهده اللهى ... وترى برؤية رأيه الآراءُ
متفرق الطعمين مجتمع القوى ... فكأنه السراء والضراءُ
وكأنه ما لا تشاء عداته ... متمثلاً لوفوده ما شاؤوا
يا أيها المجدي عليه روحه ... إذ ليس يأتيه لها استجداءُ
إحمد عفاتك لا فجعت بفقدهم ... فلترك ما لم يأخذوا إعطاءُ
لا تكثر الأموات كثرة قلة ... إلا إذا شقيت بك الأحياءُ
والقلب لا ينشق عما تحته ... حتى تحل به لك الشحناءُ
لم تسم يا هرون إلا بعدما اقـ ... ـترعت ونازعت اسمك الأسماءُ
فغدوت واسمك فيك غير مشارك ... والناس في ما في يديك سواءُ
لعممت حتى المدن منك ملاء ... ولفت حتى ذا الثناء لفاءُ
ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً ... للمنتهى ومن السرور بكاءُ
أبدأت شيئاً ليس يعرف بدؤه ... وأعدت حتى أنكر الإبداءُ
فالفخر عن تقصيره بك ناكب ... والمجد من أن يستزاد براءُ

---

(١) ونذيمهم: نعيبهم.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

فإذا سئلت فلا لأنك محوج ... وإذا كتمت وشت بك الآلاءُ

وإذا مدحت فلا لتكسب رفعة ... للشاكرين على الإله ثناءُ

وإذا مطرت فلا لأنك مجدب ... يسقى الخصيب ويمطر الدأماءُ

لم تحك نائلك السحاب وإنما ... حمت به فصبيبها الرحضاءُ

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا ... إلا بوجه ليس فيه حياءُ

فبأيما قدم سعيت إلى العلى ... أدم الهلال لأخمصيك حذاءُ

ولك الزمان من الزمان وقاية ... ولك الحمام من الحمام فداءُ

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك ... عقمت بمولد نسلها حواءُ

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

مكائد السفهاء واقعة بهم

سار بدر بن عمار إلى الساحل ولم يسر أبو الطيب معه ثم بلغه أن ابن كروس الأعور كتب إلى بدر يقول له : إن أبا الطيب إنما تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك. ولما عاد بدر إلى طبرية ضربت له قباب عليها أمثلة من تصاوير فقال أبو الطيب

الحب ما منع الكلام الألسنا ... وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى ... من غير جرم واصلي صلة الضنى

بتنا ولو حليتنا لم تدر ما ... ألواننا مما استفعن تلونا

وتوقدت أنفاسنا حتى لقد ... أشفقت تحترق العواذل بيننا

أفدى المودعة التي اتبعتها ... نظراً فرادى بين زفرات ثنا

أنكرت طارقة الحوادث مرة ... ثم اعترفتُ بها فصارت ديدنا

وقطعت في الدنيا الفلا وركائبي ... فيها ووقتي الضحى والموهنا (١)

فوقفت منها حيث أوقفني الندى ... وبلغت من بدر بن عمار المنى

لأبي الحسين جداً يضيق وعاؤه ... عنه ولو كان الوعاء الأزمنا

وشجاعة أغناه عنها ذكرها ... ونهى الجبان حديثها أن يجبنا

نيطت حمائله بعاتق محرب ... ما كر قط وهل يكر وما انثنى

فكأنه والظعن من قدامه ... متخوف من خلفه أن يطعنا

نفت التوهم عنه حدة ذهنه ... فقضى على غيب الأمور تيقنا

يتفزع الجبار من بغتاته ... فيظل في خلواته متكفنا

أمضى إرادته فسَوْف لَهُ قَد ... واستقرب الأقصى فثم له هنا

يجد الحديد علي بضاضة جلده ... ثوباً أخف من الحرير وألينا

وأمر من فقد الأحبة عنده ... فقد السيوف الفاقدات الأجفنا

لا يستكن الرعب بين ضلوعه ... يوماً ولا الإحسان أن لا يحسنا

مستنبط من علمه ما في غد ... فكأن ما سيكون فيه دونا

(١) الموهن: نصف الليل.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تتقاصر الأفهام عن إدراكه ... مثل الذي الأفلاك فيه والدنى

من ليس من قتلاه من طلقائه ... من ليس ممن دان ممن حينا

لما قفلت من السواحل نحونا ... قفلت إليها وحشة من عندنا

إرج الطريق فما مررت بموضع ... إلا أقام به الشذا مستوطنا

لو نعقل الشجر التي قابلتها ... مدت محيية إليك الأغصنا

سلكت تماثيل القباب الجن من ... شوق بها فآدرن فيك الأعينا

طربت مراكبنا فخلنا أنها ... لولا حياء عاقها رقصت بنا

أقبلت تبسم والجياد عوابس ... يخببن بالحلق المضاعف والقنا

عقدت سنابكها عليها عثيراً ... لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا

والأمر أمرك والقلوب خوافق ... في موقف بين المنية والمنى

فعجبت حتى ما عجبت من الظبى ... ورأيت حتى ما رأيت من السنى

إني أراك من المكارم عسكراً ... في عسكر ومن المعالي معدنا

فطن الفؤاد لما أتيت على النوى ... ولما تركت مخافة أن تفطنا

أضحى فراقك لي عليه عقوبة ... ليس الذي قاسيت منه هينا

فاغفر فدى لك واحبني من بعدها ... لتخصني بعطية منها أنا

وانه المشير عليك في بضلة ... فالحر ممتحن بأولاد الزنى

وإذا الفتى طرح الكلام معرضاً ... في مجلس أخذ الكلام اللذ عنى

ومكايد السفهاء واقعة بهم ... وعداوة الشعراء بئس المقتنى

لعنت مقارنة اللئيم فإنها ... ضيف يجر من الندامة ضيفنا

غضب الحسود إذا لقيت راضيا ... رزء أخف علي من أن يوزنا

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

أمسى الذي أمسى بريك كافراً ... من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا

خلت البلاد من الغزالة ليلها ... فآعاضهاك الله كي لا تحزنا

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أنا الغريق فما خوفي من البلل

يمدح سيف الدولة

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلباه قبل الركب والإبلِ

ظللت بين أُصيحابي أكفكفه ... وظل يسفح بين العذر والعذلِ

أشكو النوى ولهم من عبرتي عجب ... كذاك كنت وما أشكو سوى الكللِ (١)

وما صبابة مشتاق علي أمل ... من اللقاء كمشتاق بلا أملِ

متى تزر قوم من تهوى زيارتها ... لا يتحفوك بغير البيض والأسلِ

والهجر أقتل لي مما أراقبه ... أنا الغريق فما خوفي من البللِ

ما بال كل فؤاد في عشيرتها ... به الذي بي وما بي غير منتقلِ

مطاعة اللحظ في الألحاظ مالكة ... لمقلتيها عظيم الملك في المقلِ

تشبه الخفرات الآنسات بها ... في مشيها فينلن الحسن بالحيلِ (٢)

قد ذقت شدة أيامي ولذتها ... فما حصلت على صاب ولا عسلِ

وقد أراني الشباب الروح في بدني ... وقد أراني المشيب الروح في بدلي

وقد طرقت فتاة الحي مرتديا ... بصاحب غير عزهاة ولا غزلِ (٣)

فبات بين تراقينا ندفعه ... وليس يعلم بالشكوى ولا القبلِ

ثم اغتدى وبه من درعها أثر ... على ذؤابته والجفن والخللِ

لا أكسب الذكر إلا من مضاربه ... أو من سنان أصم الكعب معتدلِ

جاد الأمير به لي في مواهبه ... فزانها وكساني الدرع في الحللِ

ومن علي بن عبدالله معرفتي ... بحمله، من كعبدالله أو كعلي

---

(١) الكلل: جمع كلة وهو ستر رقيق.

(٢) الخفرات: الحييات.

(٣) العزهاة: الذي لا يحب النساء.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

معطي الكواعب والجرد السلاهب والـ ... بيض القواضب والعسالة الذبلِ (١)
ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ... ملء الزمان وملء الشهل والجبلِ
فنحن في جذل والروم في وجل ... والبر في شغل والبحر في خجلِ
من تغلب الغالبين الناس منصبه ... ومن عدي أعادي الجبن والبخلِ
والمدح لإبن أبي الهيجاء تنجده ... بالجاهلية عين العي والخطلِ
ليت المدائح تستوفي مناقبه ... فما كليب وأهل الأعصر الأولِ
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعتَ به ... في طلعة البدر ما يغنيك عن زحلِ
وقد وجدت مكان القول ذا سعة ... فرن وجدت لساناً قائلاً فقلِ
إن الهمام الذي فخر الأنام به ... خير السيوف بكفي خيرة الدولِ
تمسي الأماني صرعي دون مبلغه ... فما يقول لشيء ليت ذلك لي
أنظر إذا اجتمع السيفان في رهج ... إلى اختلافها في الخلق والعملِ (٢)
هذا المعد لريب الدهر منصلتا ... أعد هذا لرأس الفارس البطلِ
فالعرب منه مع الكدري طائرة ... والروم طائرة منه مع الحجلِ (٣)
وما الفرار إلى الأجبال من أسد ... تمشي النعام به في معقل الوعلِ
جاز الدروب إلى ما خلف خرشنة ... وزال عنها وذاك الروع لم يزل
فكلما حلمت عذراء عندهم ... فإنما حلمت بالسبي والجملِ
إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا ... منها رضاك ومن للعور بالحولِ

---

(١) الكواعب: الجواري الشابات، السلاهب: الطويلة على وجه الأرض.

(٢) رهج: الغبار.

(٣) الكدري: ضرب من القطا يوجد في السهول، الحجل: من طيور الجبل.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

ناديت مجدك في شعري وقد صدرا ... يا غير منتحل في غير منتحلِ
بالشرق والغرب أقوام نحبهم ... فطالعاهم وكونا أبلغ الرسلِ
وعرفاهم بأني في مكارمه ... أقلب الطرف بين الخيل والخولِ
يا أيها المحسن المشكور من جهتي ... والشكر من قبل الإحسان لا قبلي
ما كان نومي إلا فوق معرفتي ... بأن رأيك لا يؤتي من الزللِ
أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد ... زد هش بش تفضل أدن سُرّ صلِ
لعل عتبك محمود عواقبه ... فربما صحت الأجسام بالعللِ
وما سمعت ولا غيري بمقتدر ... أذب منك لزور القول عن رَجُلِ
لأن حلمك حلم لا تكلفه ... ليس التحكل في العينين كالكحلِ
وما ثناك كلام الناس عن كرم ... ومن يسد طريق العارض الهطلِ
أنت الجواد بلا من ولا كدر ... ولا مطال ولا وعد ولا مَذَلِ (١)
أنت الشجاع إذا ما لم يطأ فرس ... غير السنور والأشلاء والقللِ
ورد بعض القنا بعضاً مقارعة ... كأنها من نفوس القوم في جدلِ
لا زلت تضرب من عاداك عن عرض ... بعاجل النصر في مستأخر الأجلِ (٢)

---

(١) مذل: ضجر.

(٢) عن عرض: أي كيفما اتفق.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

على قدر أهل العزم

يمدح سيف الدولة الحمداني ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة (٩٥٤م)

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائمُ

يكلف سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارمُ

ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدعيه الضراغمُ

يفدي أتَم الطير عمراً سلاحه ... نسور الفلا أحداثها والقشاعمُ

وما ضرها خَلقٌ بغير مخالب ... وقد خلقت أسيافه والقوائمُ

هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعلم أي الساقيين الغمائمُ

سقتها الغمام الغر قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجمُ

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطمُ

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائمُ

طريدة دهر ساقها فرددتها ... على الدين بالخطي والدهر راغمُ

تفيت الي كل شيء أخذته ... وهن لما يأخذن منك غوارمُ

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازمُ

وكيف ترجي الروم والروس هدمها ... وذا الطعن آساس لها ودعائمُ

وقد حاكموها والمنايا حواكم ... فما مات مظلوم ولا عاش ظالمُ

أتوك يجرون الحديد كأنما ... سروا بجياد ما لهن قوائمُ

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ... ثيابهم من مثلها والعمائمُ

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازمُ

تجمع فيه كل لسن وأمة ... فما يفهم الحداث إلا التراجمُ

فلله وقت ذوب الغش ناره ... فلم يبق إلا صارم أو ضبارمُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تقطع مـــا لا يقطع الدرع والقنا وفـر مـن الفـرسـان من لا يصـادمُ
وقـــفت ومـــا في الموت شك لواقف كـإنك في جـفن الردى وهو نـائمُ
تمـر بـك الأبـطـال كـلـمـى هـزيمـة ووجـــهك وضـــاح وثغـــرك باسمُ
تجـاوزت مـقـدار الشجـاعـة والنهى إلى قـول قـوم أنت بالغـيب عـالمُ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الرأي قبل شجاعة الشجعان

يمدح سيف الدولة الحمداني وكان منصرفاً من بلاد الروم في شهر صفر سنة ٣٤٥هـ

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكانِ

ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقرانِ

لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسانِ

ولما تفاضلت النفوس ودبرت ... أيدي الكماة عوالي المرانِ

لولا سمي سيوفه ومضاؤه ... لما سللن لكن كالأجفانِ

خاض الحمام بهن حتى ما درى ... أمن احتقار ذاك أم نسيانِ

وسعى فقصر عن مداه في العلى ... أهل الزمان وأهل كل مكانِ

تخذوا المجالس في البيوت وعنده ... أن السروج مجالس الفتيانِ

وتوهموا اللعب الوغى والطعن في الـ ... ـهيجاء غير الطعن في الميدانِ

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد ... إلا إلى العادات والأوطانِ

كل ابن سابقة يغير بحسنه ... في قلب صاحبه على الأحزانِ

إن خليت ربطت بآداب الوغى ... فدعاؤها يغني عن الأرسانِ

في جحفل ستر العيون غباره ... فكأنما يبصرن بالآذانِ

يرمي بها البلد البعيد مظفر ... كل البعيد له قريب دانِ

فكأن أرجلها بترية منبج ... يطرحن أيديها بحصن الرانِ

حتى عبرن بأرسناس سوابحاً ... ينشرن فيه عمائم الفرسانِ

يقمصن في مثل المدى من بارد ... يذر الفحول وهن كالخصيانِ

والماء بين عجاجتين مخلص ... تتفرقان به وتلتقيانِ

ركض الأمير وكاللجين حبابه ... وثنى الأعنة وهو كالعقيانِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فَتَلَ الحبال من الغدائر فوقه ... وبنى السفين له من الصلبانِ

وحشاه عادية بغير قوائم ... عقم البطون حوالك الألوانِ

تأتي بما سبت الخيول كأنها ... تحت الحسان مرابض الغزلانِ

بحر تعود أن يُذم لأهله ... من دهره وطوارق الحدثانِ

فتركته وإذا أذم من الورى ... راعاك واستثنى بني حمدانِ

المخفرين بكل أبيض صارم ... ذمم الدروع على ذوي التيجانِ

متصعلكين على كثافة ملكهم ... متواضعين على عظيم الشانِ

يتقيلون ظلال كل مُطهم ... أجل الظليم وربقة السرحانِ

خضعت لمنصلك المناصل عنوة ... وأذل دينك سائر الأديانِ

وعلى الدروب وفي الرجوع غضاضة ... والسير ممتنع من الإمكانِ

والطرق ضيقة المسالك بالقنا ... والكفر مجتمع على الإيمانِ

نظروا إلى زبر الحديد كأنما ... يصعدن بين مناكب العقبانِ

وفوارس يحيي الحمام نفوسها ... فكأنها ليست من الحيوانِ

مازلت تضربهم دراكاً في الذرى ... ضرباً كأن السيف فيه اثنانِ

خص الجماجم والوجوه كأنما ... جاءت إليك جسومهم بأمانِ

فرموا بما يرمون عنه وأدبروا ... يطأون كل حنية مرنانِ

يغشاهم مطر السحاب مفصلاً ... بمهند ومثقف وسنانِ

حرموا الذي أملوا وأدرك منهم ... آماله من عاد بالحرمانِ

وإذا الرماح شغلن مهجةَ ثائرٍ ... شغلته مهجته عن الإخوانِ

هيهات عاق عن العواد قواضب ... كثر القتيل بها وقل العاني

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ومهذب أمر المنايا فيهم ... فأطعنه في طاعة الرحمانِ

قد سودت شجر الجبال شعورهم ... فكأن فيه مسفة الغربانِ

وجرى على الورق النجيع القاني ... فكأنه النارنج في الأغصانِ

إن السيوف مع الذين قلوبهم ... كقلوبهن إذا التقى الجمعانِ

تلقى الحسام على جراءة حده ... مثل الجبان بكف كل جبانِ

رفعت بك العرب العماد وصيرت ... قمم الملوك مواقد النيرانِ

أنساب فخرهم إليك وإنما ... أنساب أصلهم إلى عدنانِ

يا من يقتل من أراد بسيفه ... أصبحت من قتلاك بالإحسانِ

فإذا رأيتك حار دونك ناظري ... وإذا مدحتك حار فيك لساني

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

دون الشهد ابر النحل

يمدح أبا الفوارس دلير بن لشكروز وكان قد أتى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب وانصرف الخارجي قبل وصول دلير إليها

كدعواك كل يدعي صحة العقلِ ... ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهلِ

لهنك أولى لائم بملامة ... وأحوج ممن تعذلين إلى العذلِ

تقولين ما في الناس مثلك عاشق ... جدي مثل من أحببته تجدي مثليِ

محب كنى بالبيض عن مرهفاته ... وبالحسن في أجسامهن عن الصقلِ

وبالسمر عن سمر القنا غير أنني ... جناها أحبائي وأطرافها رسليِ

عدمت فؤاداً لم تبت فيه فضلة ... لغير الثنايا الغر والحدق النجلِ

فما حرمت حسناء بالهجر غبطة ... ولا بلغتها من شكا الهجر بالوصلِ

ذريني أنل ما لا ينال من العلى ... فصعب العلى في الصعب والسهل في السهلِ

تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من إبر النحلِ

حذرت علينا الموت والخيل تدعي ... ولم تعلمي عن أي عاقبة تجلي

ولست غبيناً لو شريت منيتي ... بإكرام دلير بن لشكروز لي

تمر الأنابيب الخواطر بيننا ... وتذكر إقبال الأمير فَتَحلَولي

ولو كنت أدري أنها سبب له ... لزاد سروري بالزيادة في القتلِ

فلا عدمت أرض العراقين فتنة ... دعتك إليها كاشف البأس والمحل

ظللنا إذا أنبى الحديد نصالنا ... نجرد ذكراً منك أمضى من النصلِ

ونرمي نواصيها من اسمك في الوغى ... بأنفذ من نشابنا ومن النبلِ

فإن تك من بعد القتال أتيتنا ... فقد هزم الأعداء ذكرك من قبلِ

وما زلت أطوي القلب قبل اجتماعنا ... على حاجة بين السنابك والسبلِ

ولو لم تسر سرنا إليك بأنفس ... غرائب يؤثرون الجياد على الأهلِ

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وخيل إذا مرت بوحش وروضة ... أبت رعيها إلا ومرجلنا يغلي

ولكن رأيت القصد في الفضل شركة ... فكان لك الفضلان بالقصد والفضلِ

وليس الذي يتبع الوبل رائداً ... كمن جاءه في داره رائد الوبلِ

وما أنا ممن يدعي الشوق قلبه ... ويحتج في ترك الزيارة بالشغلِ

أرادت كلاب أن تفوز بدولة ... لمت تركت رعي الشويهات والإبلِ

أبى ربها أن يترك الوحش وحدها ... وأن يؤمن الضب الخبيث من الأكلِ

وقاد لها دليرٌ كل طمرة ... تنيف بخديها سحوق من النخلِ

وكل جواد تلطم الأرض كفه ... بأغنى عن النعل الحديد من النعلِ

فولت تريغ الغيث والغيث خلفت ... وتطلب ما قد كان في اليد والرجلِ

تحاذر هزل المال وهي ذليلة ... وأشهد أن الذل شر من الهزلِ

وأهدت إلينا غير قاصدة به ... كريم السجايا يسبق القول بالفعلِ

تتبع آثار الرزايا بجوده ... تتبع آثار الأسنة بالفتلِ

شفى كل شاك سيفه ونواله ... من الداء حتى الثاكلات من الثكلِ

عفيف تروق الشمس صورة وجهه ... فلو نزلت شوقاً لحاد إلى الظلِ

شجاع كأن الحرب عاشقة له ... إذا زارها فدته بالخيل والرجلِ

وريان لا تصدى إلى الخمر نفسه ... وصديان لا تروي يداه من البذلِ

فتمليك دليرٌ وتعظيم قدره ... شهيد بواحدانية الله والعدلِ

وما دام دليرٌ يهز حسامه ... فلا ناب في الدنيا لليث ولا شبلِ

وما دام دليرٌ يقلب كفه ... فلا خلق من دعوى المكارم في حلِ

فتى لا يرُجى أن تتم طهارةٌ ... لمن لم يطهر راحتيه من البخلِ

فلا قطع الرحمن أصلاً أتى به ... فإني رأيت الطيب الطيب الأصل

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

مغاني الشعب

يمدح عضر الدولة ويذكر في طريقه إليه شعب بوان

مغاني الشعب طيباً في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمانِ

ولكن الفتى العربي فيها ... غريب الوجه واليد واللسانِ

ملاعب جنة لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمانِ

طبت فرساننا والخيل حتى ... خشيت وإن كرمن من الحرانِ

غدونا تنقض الأغصان فيها ... علي أعرافها مثل الجمانِ

فسرت وقد حجبن الحر عني ... وجئن من الضياء بما كفاني

وألقى الشرق منها في ثيابي ... دنانيراً تفر من البنانِ

لها ثمر تشير إليك منه ... بأشربة وقفن بلا أوانِ

وأمواه تصل بها حصاها ... صليل الحلي في أيدي الغواني

ولو كانت دمشق ثنى عناني ... لبيق الثرد صيني الجفانِ

يلنجوجي ما رفعت لضيف ... به النيران ندى الدخانِ

تحل به على قلب شجاع ... وترحل منه عن قلب جبانِ

منازل لم يزل منها خيال ... يشيعني إلى النوبندجانِ (١)

إذا غنى الحمام الورق فيها ... أجابته أغاني القيانِ

ومن بالشعب أحوج من حمام ... إذا غنى وناح إلى البيانِ

وقد يتقارب الوصفان جداً ... وموصوفاهما متباعدانِ

يقول بشعب بوان حصاني : ... أعن هذا يسار إلى الطعانِ

أبوكم آدم سن المعاصي ... وعلمكم مفارقة الجنانِ

فقلت : إذا رأيت أبا شجاع ... سلوت عن العباد وذا المكانِ

---

(١) النوبندجان: بلد بفارس.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فإن الناس والدنيا طريق ... إلى من ما له في الناس ثانِ

لقد علمت نفسي القول فيهم ... كتعليم الطراد بلا سنانِ

بعضد الدولة امتنعت وعزت ... وليس لغير ذي عضد يدانِ

ولا قبض على البيض المواضي ... ولا حط من السمر اللدانِ

دعته بمفزع الأعضاء منها ... ليوم الحرب بكر أو عوانِ

فما يسمى كفناخسر مسم ... ولا يكني كفناخسر كانِ

ولا تحصى فضائله بظن ... ولا الإخبار عنه ولا العيانِ

أروض الناس من ترب وخوف ... وأرض أبي شجاع من أمانِ

يذم على اللصوص لكل تجر ... ويضمن للصوارم كل جانِ

إذا طلبت ودائعهم ثقات ... دفعن إلى المحاني والرعانِ (١)

فباتت فوقهن بلا صحاب ... تصيح بمن يمر : ألا تراني

رقاه كل أبيض مشرفي ... لكل أصم صل أفعوانِ

وما ترقى لهاه من نداه ... ولا المال الكريم من الهوانِ

حمى أطراف فارس شمري ... يحض على التباقي بالتفاني

بضرب هاج أطراب المنايا ... سوى ضرب المثالث والمثاني (٢)

كأن دم الجماجم في العناصي ... كسا البلدان ريش الحيقطانِ

فلو طرحت قلوب العشق فيها ... لما خافت من الحدق الحسانِ

ولم أر قبله شبلي هزبر ... كشبليه ولا مهري رهانِ

---

(١) المحاني: جمع محنية وهي منعطف الوادي.

(٢) المثالث والمثاني: أوتار العود.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

أشـــد تنازعـــاً لكريم أصل ... وأشـــبـــه منظراً بأب هجـــانِ

وأكثر في مجالسه استماعاً ... فـــلان دق رمـــحـــاً في فـــلانِ

وأول رأية رأيا المعـــــالي ... فـقـد علقـا بهـا قـبل الأوانِ

وأول لفظة فـهـمـاً وقـالا: ... إغـــاثة صـــارخ أو فك عـــانِ

وكنت الشـمس تبـهـر كل عين ... فكيف وقد بدت معـها اثنتانِ

فعاشا عيشة القمرين يحيا ... بضوئهما ولا يتحاسدانِ

ولا ملكا سوى ملك الأعادي ... ولا ورثا. سـوى من يقـتـلانِ

وكـان ابنا عـدو كـاثراه ... له ياءي حـروف آنيسيانِ

دعـاء كـالثناء بلا رثاء ... يـؤديه الجنان إلى الجنانِ

فقد أصبحت منه في فرند ... وأصبح منك في غصب يمان

ولولا كونكم في الناسِ كانوا ... هراءً كالكلامِ بلا معانيِ

---

(١) انيسيان: تصغير إنسان.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

آراه غباري ثم قال له الحق

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي ... وللحب ما لم يبق مني وما بقي

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ... ولكن من يبصر جفونك يعشقِ

وبين الرضى والسخط والقرب والنوى ... مجال لدمع المقلة المترقرقِ

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه ... وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وغضبي من الإدلال سكرى من الصبي ... شفعتُ إليها من شبابي بريقِ

وأشنب معسول الثنيات واضح ... سترت فمي عنه فقبل مفرقي

وأجياد غزلان كجيدك زرنني ... فلم أتبين عاطلاً من مطوقِ

وما كل من يهوى يعف إذا خلا ... عفافي ويرضي الحب والخيل تلتقي

سقى الله أيام الصبي ما يسرها ... ويفعل فعل البابلي المعتقِ

إذا ما لبست الدهر مستمتعاً به ... تخرقت والملبوس لم يتخرقِ

ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهم ... بعثن بكل القتل من كل مشفقِ

أدرن عيوناً حائرات كأنها ... مركبة أحداقها فوق زئبقِ

عشية يعدونا عن النظر البكا ... وعن لذة التوديع خوف التفرقِ

نودعهم والبين فينا كأنه ... قنا إبن أبي الهيجائ في قلب فيلقِ

قواض مواض نسج داود عندها ... إذا وقعت فيه كنسج الخرندقِ[1]

هواد لأملاك الجيوش كأنها ... تخير أرواح الكماة وتنتقي

تقد عليهم كل درع وجوشن ... وتفري إليهم كل سور وخندقِ

يغير بها بين اللقان وواسط ... ويركزها بين الفرات وجلقِ

---

(١) الخرندق: العنكبوت.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ويرجعها حمراً كأن صحيحها ... يبكي دماً من رحمة المتدقق

فلا تبلغاه ما أقول فإنه ... شجاع متى يذكر له الطعن يشتق

ضروب بأطراف السيوف بنانه ... لعوب بأطراف الكلام المشقق

كسائله من يسأل الغيث قطرة ... كعاذله من قال للفلك ارفق

لقد جدت حتى جدت في كل ملة ... وحتى أتاك الحمد من كل منطق

رأي ملك الروم ارتياحك للندى ... فقام مقام المجتدي المتملق

وخلى الرماح السمهرية صاغراً ... لأدرب منه بالطعان وأحذق

وكاتب من أرض بعيد مرامها ... قريب على خيل حواليك سبق

وقد سار في مسراك منها رسوله ... فما سار إلا فوق هام مفلق

فلما دنا أخفى عليه مكانه ... شعاع الحديد البارق المتألق

وأقبل يمشي في البساط فما درى ... إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

ولم يثنك الأعداء عن مهجاتهم ... بمثل خضوع في كلام منمق

وكنت إذا كاتبته قبل هذه ... كتبت إليه في قذال الدمستق

فإن تعطه منك الأمان فسائل ... وإن تعطه حد الحسام فأخلق

وهل ترك البيض الصوارم منهم ... حبيساً لفاد أو رقيقاً لمعتق

لقد وردوا ورد القطا شفراتها ... ومروا عليها رزدقاً بعد رزدق[1]

بلغت بسيف الدولة النور رتبة ... أنرت بها ما بين غرب ومشرق

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق ... أراه غباري ثم قال له الحق

وما كمد الحساد شيء قصدته ... ولكنه من يزحم البحر يغرق

---

(١) الرزدق: الصف.

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ويمتحن الناس الأمير برأيه ... ويغضي على علم بكل ممخرقِ
وإطراق طرف العين ليس بنافع ... إذا كان طرف القلب ليس بمطرقِ
فيا أيها المطلوب جاوره تمتنع ... ويا أيها المحروم يممه ترزقِ
ويا أجبن الفرسان صاحبه تجتريء ... ويا أشجع الشجعان فارقه تفرقِ
إذا سعت الأعداء في كيد مجده ... سعى جده في كيده سعي محنقِ
وما ينصر الفضل المبين على العدى ... إذا لم يكن فضل السعيد الموفقِ

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل (١٦)

هكذا كان المتنبي في حياته وبعد مماته

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أبو الطيب المتنبي

إذا كانت الأيام قد بخلت عليه في زمانه ولم تهيء له إرتقاء الحلم الذي كان يأمله ويتطلع إليه، فقد أهدت لنا شاعرًا مرموقًا استطاع أن يُخلد لنفسه ذورة القمة في ذاكرة التاريخ فأصبح لا يضارعه فيها أحد من أهل زمانه ولا يعلو عليه شاعر آخر.

وعلى الرغم من نباهة ذكره وعلو مكانته الأدبية بين النظراء والأتراب وعند الخلفاء والأمراء وعند المثقفين والغوغاء إلا أنه كان لا يكف عن تطلعاته وطموحاته، محملاً نفسه الأهوال والمصاعبَ والمتاعب حتى يجاوز حد الفقر ومنطقة الخطر ويستقيم له الوضع الذي يأمله بعد أن حقق مكانته كشاعرٍ وأديب يشهد بتفوقه الجميع.

وكلما أوغلنا في شخصية المتنبي منذ أن كان يافعًا وجدناه لا يكف عن الطموح بل يسعى إليه وهيأ لنفسه تلك المكانة بالدراسة والبحث والاطلاع فكان أعلم أهل زمانه بفنون الأدب والشعر واللغة والعلوم وشتى المعارف الإنسانية إلا أنه بالرغم من كل ذلك لم يجد ضالته المنشودة فلجأ إلى إدعاء النبوة إلا أنه أخفق في ادعائه الكاذب، كما أنه سعى إلى الخلفاء والأمراء وسعى الخلفاءُ والأمراء إليه لاسيما وأنهم يعرفون قدره ومكانته ومن منهم كان لا يطمح أن يُسجل لنفسه تاريخًا مشرق الصفحات بين ديوان أبي الطيب المتنبي الحافل بهذا العطاء.

وإذا كان المتنبي لم يستطع أن يحقق حلمه بولاية يحكمها فقد ترك للبشرية الناطقة بالضاد رصيدًا كبيرًا من الشعر العربي الذي ارتقى ذروته واعتلى على عرشه - كما ترك المتنبي مساحات شاسعة من الجدل والتأمل والبحث حول شخصيته وميوله وأهوائه وكلماته وأشعاره وطموحاته التي كان يتطلع إليها وكيف لا ؟ وهو القائل :

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

عش عـــزيزاً أَو مُت وأنتَ كـــريمٌ ... بين طعن القنا وخـــفق البنودِ
فـــرؤوس الرمـــاح أذهب للغـــيـ ... ـظ وأَشـفى لغل صـدرِ الحـقـودِ
لا كما قد حييت غير حميدٍ.. ... وإذا مُتّ متّ غـيـرَ فـقـيـدِ
فـاطلب العـز في لظى ودع الذ ... لَّ ولو كـــان في جنانِ الخلودِ
يقـتل العـاجـزُ الجبـان وقـد يعـ ... ـجـز عن قطع بُخْنق المولودِ
ويوقى الفـتى المخشُ وقـد خـوّ ... ضَ في مـاءِ لبـه الصنديدِ
لا بقـومي شـرفت بل شـرفـوا بي ... وبنفـسي فـخـرتُ لا بجـدودي
وبهم فـخـر كل من نطق الضـا ... د وعـوذ الجـاني وغـوثُ الطريدِ
إن أَكن معـجبٌ فعـجبٌ عـجيبٌ ... لم يجـد فـوق نفـسـه من مـزيدِ
أنا تـربُ الندى وربُ القـوافي ... وسـمـامُ العـدى وغـيظ الحسودِ
أنا في أُمـة تداركـهـا الله ... غـريبٌ كـصـالح في ثمـودِ

تم بحمد الله وتوفيقه
يوم الجمعة ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٧هـ
الموافق ١١ من أكتوبر ١٩٩٦م
الدمام - شرق السعودية
جمال حامد / محرر إعلامي

** معرفتي **

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أهم المراجع

١- روضة المناظر: أبو الوليد محمد بن الشحنة.

٢- ديوان: المتنبي، دار صادر، بيروت.

٣- خزانة الأدب: عبد القادر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٤- وفيات الأعيان: لابن خلكان.

٥- الإبانة عن سرقات المتنبي : أبو سعد محمد العميدي.

٦- العمدة: لابن رشيق القيرواني.

٧- مع المتنبي: للدكتور / طه حسين.

٨- تاريخ بغداد: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي.

٩- إعجاز القرآن: للأستاذ / مصطفى صادق الرافعي.

١٠- الموجز في الأدب العربي وتاريخه: لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية.

١١- سيف الدولة الحمداني، أو مملكة السيف ودولة الأقلام: الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة، عالم الكتب، مكتبة المتنبي القاهرة.

١٢- المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس: الدكتور/ محمد التونجي، عالم الكتب.

١٣- الشخصية والانعكاسات النفسية في مدائح المتنبي، للأستاذ الدكتور: حلمي حسن علي.

١٤- المتنبي: العدد الأول من مجلة المصريين، جمال حامد، عبد الحسيب الخناني.

١٥- كيف ماتوا؟ خليفة إسماعيل الإسماعيل، الطبعة الثالثة.

١٦- "أمثال أبي الطيب المتنبي" للصاحب بن عياد أعاد ترتيبها الأستاذ / محمد إبراهيم سليم (دار الطلائع).

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

محتويات الكتاب

رقم الصفحة

الإهداء ——— ٣

مقدمة الطبعة الثانية ——— ٥

مقدمة الطبعة الأولى ——— ٩

الفصل الأول ——— ١٣

نشأة المتنبي

الفصل الثاني ——— ٢١

هل أحب المتنبي؟ وكيف حاول التغلب على النقطة السوداء في حياته؟

الفصل الثالث ——— ٢٩

المتنبي وإدعاء النبوة

الفصل الرابع ——— ٣٥

مدائح المتنبي تمثل ذاته وطموحاته وتطلعاته

الفصل الخامس ——— ٤١

المتنبي في رحاب سيف الدولة

الفصل السادس ——— ٥٣

المتنبي وكافور

الفصل السابع ——— ٦٧

المتنبي يهجو كافور ويهرب من مصر

الفصل الثامن ——— ٧٥

بين المتنبي وحساده

الفصل التاسع ——— ٨١

المتنبي يعود إلى العراق

الفصل العاشر ——— ٨٧

المتنبي في بلاد فارس

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

محتويات الكتاب

رقم الصفحة

الفصل الحادي عشر ـــــ ٩٥

نهاية المطاف لكلمات قاتلة

الفصل الثاني عشر ـــــ ١٠١

رثاء الشعراء لأبي الطيب المتنبي

الفصل الثالث عشر ـــــ ١٠٧

المتنبي ينهل من معين ثقافته وليس بسارق!!

الفصل الرابع عشر ـــــ ١١٥

المتنبي : شاعر الحكمة والفلسفة والعقل والمنطق والمثل

الفصل الخامس عشر ـــــ ١٣٣

قصائد تؤكد على ثقافة المتنبي وسعة مداركه

الفصل السادس عشر ـــــ ١٧٥

هكذا كان المتنبي في حياته وبعد مماته

أهم المراجع ـــــ ١٧٩

محتويات الكتاب ـــــ ١٨١

www.alkottob.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ouseem@hotmail.com

www.alkottob.com